

أحمد حسين
الحاجي

إنسانيتي

دار الأرشيف
للطباعة والنشر والتوزيع
منذ ١٩٧٧ - بيروت

إنسانيات

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد دياب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

الطبعة الأولى

١٩٦٨ - ١٣٨٨ هـ

أحمد حسين
الحائلي

إنسانيات

دار الأرشيد
للطباعة والنشر والتوزيع
مرب ١٢٧٧ - بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من هو أحمد حسين ؟

ولد أحمد بالقاهرة قبل نحو ستين عاماً ، في محيط من أوساط الناس الطيبين ، ومن أسرة كريمة سرية غير ثرية ، وقد تميز بالنبوغ منذ شبابه في معهد الحقوق بالجامعة المصرية ، وامتاز بين أقرانه بالألمعية والشخصية الفذة . وكان منذ أيام التلمذة معروفاً بين أقرانه بفصاحته وبقوته الخطابية وسلامة منطقته .

والخلاصة أن علمه كان في ذلك السن لا يقل كثيراً عن علم بعض أساتذته أنفسهم .

ثم أنه في أيام فتوته كان معروفاً بوطنيته وإسلاميته ، وتقواه ، حتى أنه أدى فريضة الحج في سن مبكرة .

وكان أول شيء توفيق فيه أحمد لخدمة بلاده أنه لما رأى

الشعب المصري والشعوب العربية يعيشون وهم في حاجة شديدة ملحة إلى بعض السلع التي لا يستغني عنها فرد ، كقطاع الرأس الذي كان يُستورد من النمسا و (البطاطين) الأغطية الصوفية التي تستورد من الخارج ، فخطر بباله أن يوفر على أمته هذه الثروة المهدورة ما دام من الممكن صنع تلك الأشياء في مصر .

ولذلك أعلن مع بعض رفاقه في الجامعة عن الاكتتاب لإنشاء « مصنع مشروع القرش » وموضوعه أن المتبرع يقدم لهذا المشروع قرشاً مصرياً واحداً ، وكان القرش في تلك الأيام يساوي جزءاً من العشرين من الدولار ، وقام بهذا المشروع مع إخوانه الطلبة فانضم اليه آلاف من أبناء القطر المصري . وبهذه الطريقة استطاع أحمد أن يهدي أمته معملًا لصنع الطرابيش والبطاطين الصوفية مما أسفر عنه هبوط أسعار هذه السلع ثم إلى انقطاع ورودها إلى مصر تقريباً . وبذلك كسبت مصر وأهلها مكسبين ، أولهما إدخال صناعة جديدة إلى مصر ، وثانيها ترخيص أسعار هذه الحاجات الضرورية في غير مصر أيضاً من البلاد العربية التي كانت تعتمد الطربوش .

ولأحمد حسين جهاد آخر لم يكن الجليل الماضي يجرؤ عليه ، وهو محاربة الرذيلة في مواطنها ، بواسطة فرقة الكشافة التي انبثقت عن حزب (مصر الفتاة) الذي اشتهر بوطنيته وجرأته على الحكام الظالمين . فكانت شبان مصر الفتاة أصحاب القمصان الخضراء حرباً على أماكن الرزائل العلنية أولاً ، وذلك بمهاجمة

التمارات وتحطيمها علناً في وضح النهار . وبواسطة هذه الحركة الجريئة استطاع أحمد حسين واخوانه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن يلفتوا نظر الشعب الغافل عن مصالحه وعن أسباب حقيقة وجوده ، وينبهون الى أن بعض الحكام هم الذين يشجعون الرذيلة لمنافع لهم فيها ، بدليل أنها تفتح بموجب موافقة الحكومة المصرية وبترخيص قانوني منها . فتكاثر عدد أنصار أحمد حسين وأعوانه وتلاميذه . وكانت جريدة مصر الفتاة بعد أن كانت تطبع ألف نسخة في الأسبوع، أصبحت تطبع مائة ألف نسخة، وكلما شدد الاستعمار البريطاني والحكم المصري المطلق الحناق على حزب أحمد حسين وجريدته ، كلما ازداد إقبال الناس عليها والالتفاف حول الاستاذ أحمد والثقة فيه .

لقد استطاع أحمد حسين بهذا الجهاد الجديد أن يصبح في مصر سيد جيله ، لما عرف عنه من شجاعة في الصراحة ، وعنف في خصومته للاستعمار والحكم الاستبدادي والصبر على المكاره . كما أنه كان من المحامين البارزين الذين تصفى إليهم المحاكم الكبرى الاصفاء الشديد .

ولا يفوتني أن أقول مع ذلك أن أحمد حسين بالرغم من شدة العنف الذي يعمد إليه وقد تقدم وصفه مع حدة أساليبه مع الحكام والمستعمرين ، هو رجل لطيف مهذب ، ناعم الأسلوب ، رقيق الحاشية ، شديد الحياء والشهامة والرؤفة ، لأنه دائماً في مقدمة الذين يسارعون الى اسعاف الناس في مصائبهم ، ومشاطرتهم

آلامهم ، ومشاركتهم في عذابهم .

فكم من قضية في المحاكم تتعلق بأناس فقراء قام بها بدون أجر ، وكان مع ذلك كله لا يبخل بجاهه على أحد ، ولذلك كان خصومه لا يسعهم برغم ضخامة مناصبهم وألقابهم ، ورياسة بعضهم للوزارات وكبرى المناصب الخطيرة إلا احترامه بالرغم من نخاسته لهم وشدة هجومه عليهم ، فإنهم إذن يحترمونه ، ويصفون إليه ، ويعجبون بتزاهته ، ويحضرون الحفلات الخطابية في دار حزبه (مصر الفتاة) عندما يخاطب في الجماهير ، ذلك لأنهم كانوا يحبونه لنزاهته ونظافة يده وعلو نفسه ، حتى بلغ من وثوقه بنفسه أن أحد المحققين من وزراء مصر^(١) وقف ذات مرة في البرلمان وشم أحمد حسين خوفاً على الكرسي من هجماته ، فاتهمه بالعمالة للدولة أجنبية . فتقدم أحمد حسين الى النائب العام بعريضة منه يتهم ذلك الوزير نفسه وهو على كرسي الوزارة بخيانة مصر لحساب الأجانب التي وجهها اليه ليعرف الشعب أيها أهدي سيلاً وأصدق قيلاً . فاذا بذلك الوزير يلم نفسه ثم يتهرب مما افتري به على هذا الزعيم الشاب المخلص .

هذا وقد بلغ من أمانة أحمد حسين في المحاماة التي أصبح علماً من أعلامها ، وكان يعيش منها أنه عندما أصبح يترافع أمام

(١) هو محمود فهمي النقراشي باشا ، وزير الداخلية المعروف بضيق الصدر وظلام الأفق . ولذلك جعلته العمالة للانكليز بعد ذلك رئيساً للوزراء غير أن الشعب المصري لم يصبر . فقد اغتاله أثناء صعوده الى مكتبه بالوزارة .

القضاء العالي وأمام محكمة التمييز ، كان لا يقبل قضية مؤكدة الخسارة ، حتى لا يأخذ أجراً من أصحاب القضية ويكبدهم المال فوق مصيبتهم ، برغم شدة حاجته للمال لتربية أطفاله .

هذا إجمال سريع مختصر للتعريف بأحمد حسين ، وأما الذين يريدون معرفة المزيد عن هذه الشخصية النادرة المثال ، فعليهم مطالعة مؤلفاته وكتاب « قضية إحراق مدينة القاهرة » سنة ١٩٥٢ التي اهتم بها والذي وضعته لجنة من المحامين المصريين عنها ، ليعرفوا الأسباب المباشرة لخلع الملك فاروق وإزالة عرشه .

الناشر

الفن والعلم

الفن تعبير عن الجوهر الثابت
أما العلم فموضوعه العرض المتغير

قد يكون هذا الرأي بالنسبة للكثيرين لا جديد فيه ، وقد
يعتبره أقوام آخرون تجديدًا وتهجمًا على العلم ، أما بالنسبة لي
فهو حقيقة اكتشفناها مؤخرًا ، وأرى من الخير أن أسجل تجربتي
في هذا الصدد .

كتاب الطاقة الانسانية

فعندما اعتزمت تأليف كتاب الطاقة الإنسانية ، الذي
أردت فيه أن أخضع الطاقة الإنسانية للمعادلات الرياضية كبقية
الطاقات المادية الأخرى قررت أن أنقطع لتأليفه وأن أبتل
في طلب العلم المادي بفروعه المختلفة من طبيعة وكيمياء
وجيولوجيا ... الخ ، وفرضت على نفسي أن ألزم دار الكتب
لا أبرحها حتى أفرغ من مطالعة مئات وألوف الكتب العلمية ،

مهما استغرق ذلك من وقت يتجاوز الشهور الى الأعوام ، وانكبتت على مطالعة الفهارس لأعرف بأي الكتب أبداً ، وأنها أختار وإذا بالأمر لا يحتاج إلى أكثر من بضع دقائق لأكتشف أن هذا البحر من الكتب المؤلف عن علم الطبيعة مثلاً ، تكفي بضعة قطرات منه للاستغناء عنه ، شريطة أن تكون هذه القطرات هي آخر ما سكب في هذا البحر ، وأعني بها الكتب الحديثة المؤلفة في هذا الموضوع ، إذ أن كل ما ألف في الطبيعة على مر العصور قد أصبح اليوم غير ذي موضوع ، إلا لمن يريد أن يكتب عن تاريخ علم الطبيعة وتطوره ، أما بالنسبة لمن يريد ان يلم بالقوانين الطبيعية في مفهومها الأخير فإن آخر كتاب من تأليف اينشتاين يغني عن كل ما سبق ، وليس يغني كل ما سبق عن كتاب اينشتاين ، ذلك أن الاهتمام الى تركيب الذرة ، والتوصل الى شطر نواتها ، وتحويل المادة الى طاقة قد قلب علم الطبيعة والكيمياء معاً رأساً على عقب .

ووجدت الأمر يتضح لي بالنسبة لأي فرع من فروع العلم ، طباً كان او هندسة أو فلكاء ، أو حتى جغرافياً ، وإلا فكيف أعرف جغرافية العالم كما هي اليوم من أي كتاب كتب قبل اكتشاف الأمريكتين ، أو حتى بعد اكتشافها وقبل مسحها ، وكذلك الشأن بالنسبة لآستراليا ... بل بالنسبة لأفريقيا نفسها قبل ان توضع الخرائط لكل جزء من أجزائها ، وهو ما لم يتحقق إلا وقبيل أواخر القرن التاسع عشر .

وبماذا يفيد كتاب كيمائي يتحدث عن عناصر المادة بل

والطبيعة كلها انها تتألف من أربعة بسائط أولية هي الهواء والماء والتراب والنار ، بعد ان عرفنا ان هذه العناصر ليست في حقيقتها سوى مركبات من عناصر اكثر بساطة وهي الذرة التي قيل في وقت ما انها تختلف من عنصر الى عنصر ، واعتبر الكون منطوياً على مائة عنصر وثلاثة (حسب آخر احصائية عام ١٩٦٠)^(١) وبعد ان كان يظن ان كل عنصر من هذه العناصر مستقل عن بقية عناصر المادة اكتشف ان طبيعة الذرات المؤلفة لهذه المواد واحدة ، فهي كلها تتألف من شحنات كهربية موجبة تطوف حولها شحنات سالبة وهو ما يطلق عليه اسم الالكترونات والبروتونات .

وهكذا اتضح لي ان من يريد الإلمام بآخر معطيات علم الطبيعة أو الكيمياء أو اي علم من العلوم ، فما عليه إلا ان يطالع كتابين او ثلاثة ، او اكثر قليلاً ليتحقق له ما يريد . وعلى ذلك فقد وجدتي أختصر مدة إقامتي في دار الكتب مكتفياً ببضع عشرات من الكتب الحديثة في مختلف العلوم وهي ما أثبتتها في فهرست المراجع في نهاية كل فصل من فصول الكتاب .

وليس الأمر كذلك في كتب الأدب

وفي الوقت الذي كنت أصل فيه الى هذا القرار بالنسبة للكتب العلمية المكثسة في دار الكتب ، كانت الفكرة المضادة

(١) دائرة المعارف البريطانية .

بالنسبة للكتب الأدبية والفنية تفرض نفسها عليّ فرضاً. فلو أن انساناً أراد ان يرقوي من الأدب ، وأن يسعد بالشعر والقصص والحكايات والسير فلن يغنيه اي كتاب في دار الكتب عن أي كتاب آخر ، ولن يغنيه أدب عصر عن تذوق أدب عصر آخر ، ولا شعر شاعر عن الاستمتاع بشعر شاعر آخر ، بل ان مطالعته آلافاً من أبيات الشعر لأحد الشعراء لا تغني عن مطالعة قصيدة معينة كتبها هذا الشاعر في مناسبة من المناسبات ، وقد رأينا تجربة من ذلك النوع بعد وفاة شوقي أمير الشعراء ، فبالرغم من دواوين شوقي الضخمة المطبوعة والمنشورة ، وبالرغم من مسرحياته الشعرية التي لم يسبق اليها في الشعر العربي ، وبالرغم من أغانيه وأهازيجه ، فان ذلك لم يمنع استاذاً كبيراً كالأستاذ صبري السوربوني من أن يجمع أشعاراً مجهولة الصاحب وان ينسبها لشوقي بعد تحقيق علمي دقيق ، وان يصدرها في كتاب كان من أروج الكتب الأدبية .

وكذلك الشأن بالنسبة لمطالعة القصص ، فلو أن انساناً طالع مئات القصص لكاتب من الكتاب ، فلن يغنيه ذلك عن مطالعة المزيد من قصصه ، وأياً ما يكون القدر الذي يطالعه الإنسان من القصص ، فان نهمة لهذا اللون من الفنون لا يمكن ان يشبع ، ذلك ان لكل قصة خيالها وطابعها وشخصيتها المتميزة التي لا يمكن ان تنطبق على غيرها تمام الانطباق ، كما لا يمكن ان تنطبق بصمة إنسان على إنسان آخر .

خلود الشعر

ووجدتني أطيل التأمل في هذه الظاهرة الثانية ، وهي أننا نترنم بأبيات من الشعر قالها امرؤ القيس ، أو بشار بن برد ، أو عمر بن أبي ربيعة ، أو المتنبي أو أبو العلاء على الرغم من انقضاء القرون على وفاتهم ، وعلى إبداعهم هذا الشعر ، ولسنا نفعل ذلك بالنسبة لأي انسان عاش في هذه العصور أياً كان قدره ، وكان شأنه أو كان علمه . بل ان العامة عندنا تردد اسم أبا نواس بأكثر مما تردد اسم هارون الرشيد ، وهي إذ تردد اسم هذا الأخير فلأنه يؤلف طرفاً في نوادر (أبو نواس) ولأنه يقوم بدور رئيسي في قصص ألف ليلة وليلة .

ظاهرة انسانية عامة

وهذا الاحتفال بالشعر والشعراء ، ليس كما يظن البعض خطأ ظاهرة خاصة بالعرب ، بل هي ظاهرة انسانية عامة ، فلا نحسب ان أوربا تحفل بأثر أدبي احتفالها بالياذة هوميروس ، التي لم يقف تأثيرها عند حد ، فأصبحت مصدراً لمئات القصص والمسرحيات والقصائد التي تستلهم أساطيرها وخرافاتها ، حتى ان أسماء ابطالها كأخيل وهكتور وباريس وهيلانه واجامنون ، تتردد في أرجاء أوربا كما تتردد أسماء الأرض والسماء والأفلاك والشموس والنجوم .

وانجلترا تكاد تلخص عظمتها في انجائها لشاعرها شكسبير ،

وإيطاليا لا تعترف بإنسان اعتزازها بداني شاعرها العظيم، والمانيا
 بجوته، وفرنسا براسين وكورني وموسيه وفيكتور هيجو . حق
 الاتحاد السوفيتي بكل نظرياته المادية جعل من بوشكين شاعر
 روسيا القديم علماً من أكبر الأعلام التي تعاد طبع دواوينه
 وقصائده بالملايين ، وامتد حماس الاتحاد السوفيتي للشعر حتى
 شمل شاعر الانجليز نفسه شكسبير ، فأصبح الاتحاد السوفيتي
 من أكبر مناطق العالم طبعاً وتوزيعاً وتمثيلاً لروايات شكسبير
 بمثل الملكية والاقطاع .

الرسم والموسيقى والقصص

والحق ان الشعر إذا كان يستأثر بالنصيب الأوفر من الخلود ،
 فما ذلك إلا لسهولة حفظه وتناقله ، وإلا فإن ظاهرة الخلود تلحق
 كل مظاهر الإبداع الفني من رسم وتصوير ونحت وموسيقى
 وقصص ، فالدنيا كلها تسعى وتبحث لرؤية الآثار الفنية من أي نوع
 كان ، وتقف مشدوهة مذهولة أمام إبداع الفنان المصري القديم
 وهو يصوغ من حجر الجرانيت إنساناً يكاد ينبض بالحياة ،
 وهو يرفع أعمدة الكرنك شائخة رهيبة حتى تكاد تتحدى
 الفناء والزمن . وهو يحس هذا الإحساس أمام مبدعات الفنان
 الاغريقي ، وكل فنان من العصور القديمة ولست أحسب أن
 هناك أسماء تتردد في العالم المثقف تخفق القلوب رضاً لسماعها ،
 وتتلطف شوقاً الى رؤية أو سماع آثارها من أسماء : بتهوفن
 وموزار وفردري وشوبان وغيرهم من أعلام الموسيقى أو أسماء

دافنشي ورافائيل وميكل انجلو من أعلام النحت والرسم
أو أسماء ديكنز وبلازاك ودستيفوسكي وتولستوي من أعلام
القصص ، وليست هذه الأسماء التي سقناها إلا على سبيل
المثال .

واليوم في عالمنا المفرق في المادية والواقعية ، لا يزال الفنانون
من مغنين وموسيقيين وممثلين وقصاصين وشعراء ، هم الذين
يستأثرون باهتمام الجماهير وحبهم ، ولا أحسب أنه يوجد
شاب في طول الدنيا وعرضها لا يعلم أسماء نجوم هوليوود
بأكثر مما يعرف أسماء الأعلام والمفكرين في بلاده نفسها .

وما علينا إذا أردنا أن نتمثل هذه الظاهرة في أعلى صورها
إلا أن نستحضر موجة الاهتمام والخفاوة والشوق الذي يستقبل
به ملايين العرب حفلات أم كلثوم ، حيث يجلسون من الخليج
الى المحيط ، بل إلى ما وراء ذلك وقبل ذلك . فالفن والاستمتاع
بالفن لا يعرف حدوداً ولا قوميات ، يجلسون جميعاً لا فرق بين
مصري أو سوري أو تركي أو إيراني ، لا فرق بين كبير وصغير ،
بين تابع ومتبوع ، بين غني وفقير ، فالفن قد سوَّى بينهم ،
ووحَّد مشاعرهم ، واستثار فيهم إنسانيتهم فراح الغناء يشجيهم ،
وينسيهم لبضع ساعات ، الواقع بكل مشاكله ومتاعبه وأحزانه ؛
ويخلق بهم في دنيا من الخيال والأمل والتفاؤل ، دنيا لا تكدرها
الأحزان أو النكبات .

ما هو التفسير والتعليل

والآن ما هو التفسير والتعليل لذلك ، اننا إزاء ظاهرتين في منتهى الوضوح والثبات والاطراد في القديم مثل ما في الحديث ، في الشرق مثل ما في الغرب ، وهو احتفال البشر بالفنانين في حياتهم ، واحتفالهم بآثارهم الباقية بعد وفاتهم ، في الوقت الذي يعيش فيه العلماء والمفكرون بعيداً عن الضجيج واحتفال الجماهير ، فإذا ماتوا لم يذكرهم أحد إلا في أوساط العلماء من أمثالهم .

موضوع الفن

ولم يكن الجواب على هذا التساؤل صعباً ولا هو بعيد عن متناول الادراك ، فالانسان ، كل انسان ينطوي على قوتين إحداهما قوة الغريزة والإلهام والوجدان ، وبهذا الطراز من القوة ولد الانسان ، وبها يحافظ على كيانه وإثبات ذاته وإبقاء نوعه ، وليست المشاعر والأحاسيس والعواطف إلا مظهر هذه القوة ، وعن طريق الأحاسيس والمشاعر والعواطف ، يدفع الانسان عن نفسه الأذى ، ويستجلب لها النفع ، عن طريق الأحاسيس والمشاعر والعواطف يحب ويتزوج وينسل ، مخلداً بذلك نفسه ونوعه ، وهذا القسم من قوى الانسان هو جوهر الحياة . ولذلك فهو ثابت لا يتغير على مر العصور والدهور ، وعلى

اختلاف البيئات وتباعد الأمكنة ، والعواطف والمشاعر والأحاسيس وعلاقة الرجل بالمرأة هي موضوع الفن الأول والرئيسي ، ومن هنا فهي تتجاوب مع كل انسان في كل زمان ومكان ، إذ يرى نفسه فيها قوة وضعفاً ، نقصاً وكلاءً ، قبضاً وبسطاً .

موضوع العلم

وإلى جوار هذه القوة الغريزية الفطرية الكامنة في كل انسان توجد قوة أخرى أكثر تركيباً وتعقيداً ، تنمو وتطور وتتغير وتنقلب بحسب ظروف كل انسان وبلده ، هي قوة العقل والتفكير والتي زود بها الانسان لإشباع حاجاته ، وحل ما يعرض له من مشاكل متغيرة ومتطورة ، ولما كان لكل انسان مشاكله الخاصة به والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فقد اختلفت آثار الفكر والعقل ، فالانسان المشتغل بالصيد له مشاكله التي يبرع في حلها بما لا يقدر عليه الرجل المشتغل بالزراعة ، كما لا يقدر رجل الصيد أن يحل مشاكل الزراعة ، وكما لا يقدر الرجلان على تفهم مشاكل رجل الصناعة الذي لا يعرف بدوره مشاكل الصيد أو الزراعة وهكذا . ومشاكل الرجل العائش عند خط الاستواء تختلف عن مشاكل الذي يعيش عند أحد القطبين ، والعائش على شط البحر ، غير العائش في أحشاء الصحراء ، والعائش في السهل غير العائش فوق الهضاب وقمم الجبال ،

فلكل من هؤلاء مشاكله الخاصة وحاجاته المختلفة ، وإذ كانت مهمة العقل الانساني هي مواجهة هذه المشاكل المتغيرة والمتباينة عن طريق التجربة والخطأ والاستفادة بتجارب من سبق ، فقد بدأ الانتاج العقلي وآثاره تختلف باختلاف العصور والبيئات ، وحسبنا أن ندرس النظريات الفلسفية لكي نحكم بأن ليس هناك جامع بينها إلا عملية التفكير في حد ذاته ، فما من نظرية إلا وتعارض نظرية وتدحضها ، وما من قول إلا وعليه رد ينقضه ، وما من تصور عقلي إلا ويهدمه تصور آخر وهكذا ، وإذا كانت الفلسفة في نهاية الأمر تبدأ مباحثها من أساس متفق عليه يسمى بالبدهييات والمسلّمات ، فهذه البدهييات والمسلّمات ليست نتيجة العقل والتفكير . فالتفكير لا يستطيع أن يقيم عليها البرهان والدليل ، وإنما هي من معطيات الوجدان والقطرة التي فطر عليها كل إنسان أياً كان حظه من العقل والثقافة كأن يعرف أن الاثنين أكثر من واحد .

وليس العلم التجريبي نفسه بأوفر حظاً من الثبات من العلم النظري من حيث التبدل والتغير . يشهد بذلك علم الطب الذي وجد منذ أقدم العصور ، وقد اعتبر علم العلاج دائماً ثمرة التجربة ومع ذلك فإن أطباء اليوم يعتبرون علاج الأمس القريب ، خطأ ووهماً ، أما علاج الأمس البعيد فهو في نظرهم دجل وشعوذة .

ولا شك أن علاج اليوم بدوره سيبدو لأطباء المستقبل خرافات وأوهاما . والرأي منعقد اليوم على أنه بعد أن يخرج الانسان من سجن الجاذبية الأرضية ، وينطلق إلى الفضاء الكوني عبر الكواكب ، سوف يواجه ظروفًا تخالف كل المخالفة ظروف الحياة على الأرض ، وسوف يكتشف نواميس جديدة وقوانين طبيعية جديدة ، وسوف يُخطئ نظريات نعتبرها اليوم عنوان الصحة ، وسوف يصوب نظريات نعتبرها اليوم علماً على الخطأ ، وسوف يضحك كلما تذكر سياراتنا التي افتخرنا يوماً بأنها تقطع مائة كيلومتر في الساعة ، أو بطائرتنا النفاثة التي تقطع ألف ميل في الساعة ، بل أن سرعة الصواريخ اليوم التي تبلغ عشرين ألف كيلو في الساعة ، سوف تعتبر كحمار الأمس بالنسبة لها ، عندما ينطلق الانسان في الفضاء بسرعة تقرب من سرعة الضوء .

ولكن هذا الانسان الصاعد إلى الكواكب ، سيظل كإنسان الغابة الأول ، يحب ويكره ويخاف ويؤمل ويتزوج وينجب الاطفال ، ومن هنا فسوف يقرأ أدبنا ، ويستمتع بفنونا ، لأنه سيجد فيها مشاعراً كمشاعره وعواطفاً كعواطفه ، وسوف يرى فيها أحزانه ومسراته ، وشقاه وسعاده ، سيرى نفسه لا يختلف عنا ، يولد كما ولدنا ويموت كما نموت ، ويبكي كما يبكي ويضحك كما نضحك .

الأديان والعقائد فن

وجدتني وقد وصلت إلى هذا المدى من بحثي وملاحظتي ،
أضع يدي على السر الذي تفوقت فيه الأديان والعقائد على
العلوم والمعارف والفلسفة والمنطق ، ولماذا كان بوذا وعيسى
وسيدنا محمد يؤلفون أعلى القمم الإنسانية ، ويعلمون على الملوك
والأباطرة والقيصرة والفلاسفة والحكام من حيث سلطانهم
على النفوس البشرية ، والذي يزداد على مر السنين أثراً في حياة
بني الانسان . ذلك أن هذا النفر من قادة البشرية لم يبحثوا
بنظريات علمية ، أو حقائق منطقية ، ولم يتحدثوا بلغة الأرقام
والحساب ، وإنما خاطبوا الوجدان والضمير الانساني ، خاطبوا
المشاعر والعواطف ، خاطبوا في الانسان ذلك السر الحقيقي
الذي ينطوي عليه ، سر الوجود كله في كماله ، وجعلوا محور
أحاديثهم الاخاء والحب والتسامي نحو المثل الأعلى والكمال ،
حيث لابغي ولا ظلم ، حيث لا عنف ولا عدوان ، حيث لا
مرض ولا ضعف ، بل ولا موت ولا فناء ، وإنما بقاء وخلود
وسلام ، وهو ما تهفو إليه الفرائز الانسانية وتتوق إليه .

ولذلك لم يكن عجباً أن كانت أحاديث الأنبياء والرسل
حكايات وقصصاً ، وأحاديث عن الغيب والمجهول الذي يحس
به الانسان بوجوده دون أن يتوصل إليه بعقله ، ولم يكن عجباً
كذلك ان استخدمت الأديان والفنون دائماً أبداً لتعميق مفاهيمها ،
وإرهاف الحس والمشاعر .

الخلود للفن

وهكذا انتهيت من تجربتي الخاصة إلى أن الخلود والبقاء
هو للآثار الفنية لا العلمية ، وأن القوى التي تحرك البشر ليست
هي القوى النابعة من عقله وفكره ومنطقه ، بل تلك التي تفيض
من مشاعره ووجدانه وعواطفه .

، وان البساطة لا التعقيد ، والتواضع لا التعالي ،
والخفي لا الظاهر هو الذي يؤثر في الكون ويسطر مصير
الانسان .



الطفولة ذروة الكمال الإنساني

أتكون الطفولة ذروة الكمال الانساني
وكل ما عمله البيئة هو أن تهبط بالطفل عن هذه الذروة ؟

كلما تأملت الطفولة وخصائصها ، تأكد لدي أن عطاء العالم وقادته في كل فرع من فروع الحياة ، هم الذين استطاعوا أن يحتفظوا في أنفسهم يجوهر الطفولة وأن يقاوموا أثر البيئة والتربية والتعليم في أنفسهم ، وبذلك فقط تهيأ لهم أن يصبحوا أبطالاً وفلاسفة وعلماء وفنانين أو أنبياء وقديسين .

انها لتكاد تكون قاعدة عامة انه لم ينتصر ولا ينتصر في معركة الحياة إلا الذين قادتهم أحلام الطفولة طوال حياتهم أما الذين انهزموا في معركة الحياة ، فأصبحوا نكرات وإمعات فهم الذين ارتفعوا فوق أحلام طفولتهم ودخلوا الى دنيا الرجولة ، دنيا العقل والتفكير والاخلاذ للواقع .

الطفل الشاعر والفنان :

إن الاجماع منعقد بين رجال التربية - وهي مسألة يستطيع كل انسان أن يثبت منها بنفسه - أن قوة الخيال الإنساني تصل في ذروتها عند الطفل ، ويتمثل ذلك اعظم ما يتمثل في اضافته الحياة على كل ما يحيط به ، فالطفلة عندما تلعب بدميتها لا تتصور إلا أنها تنبض بالحياة مثلها ، فهي تأكل وهي تلعب وهي تنام وهي تخطيء وتصيب .

والطفل عند ما يركب عصاه فهو لا يتصور إلا أنه يركب حصانه بالفعل أو سيارة أو طائرة ، حسب ما يحول له ، وعندما يلوح بعصاه فوق رأسه فإنما هو السيف الذي يقطع به رقاب الأعداء من مردة وشياطين وغيلان .

وعند ما يسقط الطفل على الأرض ويروح ببكي من ألم السقوط فإن ضرب الأرض وزجرها ونعتها بأخسى الصفات كفيل بأن يذهب عنه الألم لأنها عوقبت ، فكل ما حول الطفل حي نابض بالحياة ، وقابل للاتصال به عن طريق الكلام فالحيوانات والحشرات والزهور والأشجار والقمر والشمس وكل ما في الكون من كائنات منظورة وغير منظورة من جن وملائكة وسحرة وغفاريت ، حي كله متحدث كله . تلك هي دنيا الطفل وحياته ومهمة البيئة ابتداء من الأم والأب والأخوات ، حتى المعلم في الكتاب والمدرس في المدرسة ، أن يبصر الطفل بزيف تصورات

وأنها أوهام وخيالات لا تتصل بالواقع ، الواقع الصلب الجامد ،
الذي يجعل العصاة عصاً ولا يمكن أن تكون حصاناً ، والذي
يفكر أن تتكلم الأوزة أو الدبة أو القطة وأن يكون لها عواطف
كمواطننا ، والتي تجعل الأرض والسماء والجبال جماداً أخرس
لا يحس ولا يشعر ويستجيب الطفل لهذا التلقين ، ويدرك واقع
الحياة ، بكل مرارته بكل درنه وكدره ، بكل آلامه
وشروبه ، فإذا وصل الى هذه الدرجة فقد خرج من دنيا الأطفال ،
ودخل دنيا الكبار ، دنيا الفكر والمنطق والحساب والتجربة .

ويطلع علينا موكب الشعراء الخالدين في كل زمان ومكان ،
فاذا هم لا يختلفون عن سائر البشر إلا بمقدار ما يتصرفون كما
يتصرف الأطفال عندما يصفون الحياة على كل ما يحيط بهم ،
فيخاطبون الريح والليل والنهار ، - والأنهار والأشجار والحمامة
والكروان ، والقط والتمساح ، واذا - هم لا يعترفون بمنطق
أو رياضيات وإنما هي سبحات في دنيا الخيال ، أو وكلما أوغلوا
في دنيا الأطفال فحدثونا بدورهم عن الجن والعفاريت والملائكة
والشياطين ، وعن حور البحر وبساط الريح ، كلما أسمعونا
أناتهم وصراخهم وعويلهم على ما فات أو ضاع منهم ، كلما
ازددنا إقبالاً على أشعارهم ، وازددنا حباً لهم ، ورفعنهم مكاناً
علياً ، وكلما كان شعرهم متسماً بالكذب ، كلما زاد تعلقنا به ،
حتى لقد أصبح من المبادئ المقررة أن أعذب الشعر أكذبه .

فاذا أردنا أن نتقصى الأسباب التي جعلت من الشاعر شاعراً

لم نجد أماناً إلا سبياً واحداً وعلة واحدة ، وهي أنه تمرد على البيئة ، تمرد على ما كان أبواه ومدرسه يعدونه له من أن يتلقى تعليماً يجعل منه معلماً أو مهندساً أو طبيباً أو تاجراً ناجحاً ، وأنه أبى إلا أن يواصل أحلام طفولته ، وأن يعيش مع الخيالات والأوهام ، وأن يطلق لمواطنه ومشاعره العنان ، فلا يضع عليها قيداً من قيود المجتمع ، ولا يحفل بالتقاليد أو العادات والآداب .

وكذلك الشأن بالنسبة لأي فنان رساماً كان أو موسيقاراً أو ممثلاً أو مغنياً ، فهو لا يصل إلى الذروة من فنه إلا إذا كان كالشاعر في قوة الخيال ، وفي انطلاق العواطف والمشاعر في غير تخرز أو تأثم ، والعجب أن المجتمع يرضى من الفنانين والشعراء ما لا يرضاه من غيرهم ، ادراكاً منه أنه لا فن إلا حيث التحرر والانطلاق من كل قيد ، ومن كل فكر واستغراق في الخيال والأوهام والمشاعر المتدفقة وهي كلها سمات الطفولة وخصائصها .

الطفل المخترع :

وليس هناك ما يزعج كل أب من طفله أكثر من أن يراه يحطم اللعب الثمينة التي تقدم له ، وقد يهون الأمر بالنسبة للدمى واللعب ولكن الذي يملأ كل أم بالفزع أنها لو تركت طفلها وشأنه في البيت لعبت بكل شيء ودمر وضرب وأتلف وربما أساء نتيجة ذلك إلى نفسه .

ويقول لنا علماء التربية إن الطفل اذ يحطم كل شيء ويفسد كل شيء، ليس ذلك إلا لاشباع نهمه في معرفة السر الكامن وراء الأشياء ما الذي يحرك اللعبة ويجعلها تفعل ما تفعل ، ما الذي يجعل الراديو يغني ويتكلم ، فلا بد إذن من البحث عن المتكلم داخل هذا الصندوق الخشبي بتكسيه وتفكيكه . ومهمة الأبوين أن يعملوا بالتدريج على تعطيل هذه الملكة (التجربة) في نظرهما وأن يعوداه بالتدريج أن يقبل الأشياء على علاقتها ، وأن يستمتع بآثارها دون أن يحاول ادراك كنهها . وينتهي الطفل بالاذعان فلا يعود يبحث خلف الأشياء وكيف تعمل وما هو سر تركيبها ، وبذلك يصبح ولداً عاقلاً رشيداً واقعياً .

وكما طالعنا موكب الشعراء العظام والفنانين من قبل، يطالعنا موكب المخترعين العظام في كل زمان ومكان ، هؤلاء الذين صنعوا لنا كل ما نحيا فيه وبه من مهات وآلات وأدوات ، ونحاول من جديد أن ندرك السر الذي جعل هذا النقر من البشر يشدون عن القاعدة ويخترعون لنا هذه الاختراعات المذهلة ، فنرى السر كامناً في احتفاظهم بهذه الحصيصة الأولى من خصائص الطفولة ، وهي عدم قبولهم أي شيء على علاته ومحاولتهم الدائمة لمعرفة السر الكامن وراء الأشياء .. فالمخترعون هم هؤلاء الأطفال الذين رفضوا كل ما حاول الآباء والمدرسون والعلماء أن يفرضوه عليهم ، وتمردوا على المسلمات العلمية والبدهييات والحقائق الجاهزة بل رفضوا أن يتصاعوا لنتائج المنطق الصارم والرياضيات وسمحوا

لخيالهم أن يسبح بهم في دنيا من التحرر والانطلاق ، فاذا بهم يحققون للدنيا هذه السيارة وهذه الطائرة ، وهذا المصباح الكهربائي ، وهذا القلم الذي اكتب به والورق الذي اكتب عليه ، وهذه السينا التي يختلف الناس اليها ، وسفن الفضاء التي تدور الآن حول الكرة الارضية ، ليخرج منها الانسان ويسير في الهواء وسط ذهول البشر . وليس ذلك كله إلا من نتاج هذه العقول التي احتفظت بأحلام الطفولة ، وتمردت على الواقع بقوانينه وحقائقه المزعومة .

الطفل الفيلسوف :

وما من أب وأم إلا وقد ضاقا ذرعاً بأسئلة طفلها التي تنهال عليها أول ما يتفتح ذهنه ويسعفه لسانه على النطق « لماذا وكيف » أو بلغة الطفل « ليه وإزاي » .

لماذا نأكل ؟ لماذا نشرب ؟ لماذا نبكي ؟ لماذا نموت ؟ لماذا نولد ؟ وكيف نولد ، وكيف نموت ، وكيف نبكي أو نضحك ؟ وقد يكون الأبوان طويلي البال واسعي الصدر فيحاولان الرد على أسئلة طفلها قدر الاستطاعة إلا أن يصدم ذات يوم بالطفل يتساءل من الذي خلق الناس والدنيا ، فيسرعان في الرد وعلى شفاهما ابتسامة الرضا ، انها سيلقنان ابنهما أول درس في الدين فيقولون له « الله » ولكن الطفل العنيد يمضي في سؤاله « ومن

الذي خلق الله » وتختلف ردود الفعل عند الآباء أو المعلمين والمدرسين عندما يلقي الطفل عليهم هذا السؤال المحرج فيردون عليه أحياناً بالضرب ، وتارة بالزجر ، وفي أكثر الأحيان بالابتسام والتهرب ، أو برد لا يشفي غليل الطفل . فيظل السؤال حائراً بغير جواب .

ويحيىء موكب الخالدين من الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور ، فاذا هم لا يشغلون بشيء إلا بهذين السؤالين اللذين نتبرم بهما من أي طفل . وهو لماذا وكيف ، ويصعدون في سلم الأسئلة حيث صعد الطفل فيتساءلون عن كيفية خلق الكون – فيقول بعضهم الله ، ويقول بعض آخر إنما هي الطبيعة أو المادة ، فيلج العقل بالسؤال ، ومن الذي خلق المادة أو الطبيعة ، ويقف أعق الفلاسفة عاجزين عن أن يردوا على هذا السؤال ، إلا بالتسليم والاستسلام وأن العقل البشري أعجز من أن يحل هذه القضية ، وهكذا ينتهي أعظم الفلاسفة ، بما انتهى إليه الطفل ، وهو مجرد السؤال الحائر الذي لا يجد له جواباً .

الطفل الانسان :

وينشأ الطفل لا يعرف من أمر نفسه إلا أنه انسان كأني انسان آخر فأني طفل أهل لصحبته واخوته ومحبته ، وليس هناك ما يحول دون أن يشاطر أي طفل آخر ما يملكه وأن يلعب معه ويأكل معه ، ولا يرى الطفل في سواد لون أي طفل

آخر أو صفوته أو حرته ما يفرق بينها ، بل لا يمكن أن يحس بأي فارق آخر من حيث الغنى أو الجاه أو الرفعة والانخفاض انه طفل وذاك طفل آخر كل منهما ابن الحياة وكل يحب اللعب والمرح والحياة مع الآخرين وتبدأ الأم وتبدأ الأب والمعلم والمدرس تلقين الطفل أي طفل ، الفوارق التي تفصل بينه وبين الآخرين ، فهذا زنجي وهذا هندي ، وهذا ابن الخادم وهذا ابن السيد ، وهذا ابن الغني وهذا ابن الفقير ، وهؤلاء هم فقط من يصح أن يلعب معهم وأن يختلط بهم أما هؤلاء فلا يصح له ، ويجب عليه في كل الأحوال الا يعطي نقوده أو لعبه أو شيئاً من حوائجه للآخرين ، وان يتجنب هذا الطفل أو ذاك . . . لئلا يضربه أو يؤذيه أو يسرقه ...

ويتعلم الطفل وينمو ويكبر فيترفع عن الآخرين اذا كان من السادة ، وبذل للآخرين اذا كان من الضعفاء ، ويتعلم كيف يحرص على حوائجه وعلى نقوده ، وحلواه فيضن بها على الآخرين ، ويتعلم كيف يزاحم وكيف يضارب وكيف يحارب وكيف يحقد وينتقم ، وكيف يعتدي وكيف يقاتل .

ويبلغ الأطفال سن الرشد وعلامة رشدهم انهم اذا لعبوا قسموا أنفسهم الى حرامية وضباط ، والى أغنياء وفقراء ، والى سادة وعبيد ، والى منتصرين ومنهزمين . . . ويطرب الآباء لادراك ابنائهم ، وانهم خلفوا دنيا الطفولة بأوهامها وبدأوا يدركون الحياة بواقعها ، وبذلك دخلوا دنيا الكبار . . . دنيا الرجال الراشدين

وتأتي قافلة الأنبياء والرسل والهداة والمصلحين ، أولئك الذين كانوا على مر العصور نوراً لبني الانسان ، يدعون للاخوة البشرية والتراحم والتعاطف بين الانسان ، ويدعون للمحبة والسلام . وتنحني البشرية تمجيذاً لهذا النفر من الأعلام ، باعتبارهم يؤلفون المثل الأعلى لبني الانسان ، وتسأل عن السر الذي وصل بهؤلاء الى هذا المكان الرفيع من تكريم البشرية ، فلا ترى إلا أنهم دعوا الى هذه الفطرة الأولى ، فطرة الطفل البريء الذي يجب كل من حوله ، ولا يضمر لأحد حقداً ولا يعرف الشر وينسى الإساءة ، ويسعده أن يكون مصدر اسعاد لكل الكائنات .

ارتداد الانسان بعد الشيخوخة الى الطفولة :

واذا كان العقل والمنطق والحكمة والفكر هي مفخرة الرجولة وما تزهو به على دنيا الطفولة ، فان الرجولة تقضي في كآلها ونموها حتى تصل الى الشيخوخة ، فاذا بالرجل يرتد من جديد طفلاً واذا بدنيا العقل تتخلى من جديد عن مكانها الى دنيا الأحاسيس والمشاعر الساذجة والخيالات والأوهام ، واذا بالطفل يرى في الشيخ ندأ له ، والشيخ يرى في الطفل صاحباً يرتاح الى صحبته ، وهكذا يعود الانسان الى حيث بدأ وعندما تمتزج البداية بالنهاية فهذا هو الحق الذي لا حق غيره .

الكمال الانساني :

وهكذا كلما قلبنا الأمور ونظرنا اليها من أي زاوية

أردناها ، وجدنا الطفولة مستودع الكمالات الإنسانية في شتى
مناشطها الروحية أو الفكرية أو المادية ، وان الطفل أي طفل
يولد وهو مجهز بكل الكمالات الإنسانية. والبيئة وحدها هي التي
تتحرف بهذه الكمالات وتحولها في الأغلب والأعم إلى أحاسيس
بالتقص والعجز والرضا بالواقع المر الأليم الذليل .

وان البشر اذا كانوا يجدون في كل زمان ومكان من يتولى
هدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم من يصلح أحوالهم
ويشبع نفوسهم ، ويزكي أرواحهم ، فقد حدث ذلك على أيدي
هذا النفر الذي ظل طفلاً في رجولته ، بكل براءة الطفولة أو
أحلام الطفولة وعواطفها ومشاعرها .

كل طفل يولد على الفطرة :

ولعل هذا الذي قدمناه يفسر لنا قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه
أو يمجسانه » والفطرة تعني في هذا الحديث الدين الاسلامي الحنيف
أو الدين الكامل الذي ينطوي على جوهر الأديان كلها .

« فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .

كما يفسر لنا قوله السيد المسيح عليه السلام :

« لقد أخفيت يا رب حكمتك عن العقلاء وكشفتها للأطفال »
وقوله عندما سأله تلامذته : من الأعظم في ملكوت السموات

« الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السموات ، إن من يضع نفسه مثل هذا الصبي فذاك العظيم في ملكوت السموات . »

ويُفسر لنا لماذا دأب الفنانون على تصور الملائكة أطفالاً أصحاب أجنحة ، ولماذا يجري على ألسنة الناس في كل عصور زمان ومكان أن الأطفال ملائكة .

الانسانية الأولى :

ولست أجد ما أختتم به هذا البحث إلا أن أسجل ملاحظة ابن صديق لي عندما عرضت عليه فكرة هذا البحث ، اذ قال لي على الفور ، ولكن مؤدى هذا البحث ، أن الانسانية في أول مراحلها ، وهي ما اعتدنا أن نعتبرها طفولة الانسانية ، تكون أكمل من انسانية الوقت الحاضر التي تعتبر رشد الانسانية ورجولتها .. ووجدتني أقول له .. لقد جئتني بدليل جديد ، فأنا من القائلين بأن الانسان الأول قد ولد كاملاً من حيث قوة الجسد وقوة الذهن وقوة الروح ، ولقد أثبت هذا بالتفصيل في كتابي (الطاقة الانسانية) .

فإذا كانت الطفولة هي التي تقابل الانسان الأول ، فهي الدليل حقاً وصدقاً على أنها ذروة الكمال الانساني ، ذلك الذي كان عليه آدم أبو البشر ، عندما علمه الله الأسماء كلها ، ما كان

وما سوف يكون الى أبد الأبدين ، وعندما طلب من الملائكة
أن تسجد له تعظيماً وتكريماً .

وبعد ، فأحسب أن من حقنا بعد هذا الاستعراض المسهب
أن نتساءل في ختام بحثنا بما بدأنا به .

أتكون الطفولة حقاً وصدقاً هي ذروة الكمال الإنساني ،
وكل ما تفعله البيئة والتربية والتعليم هي أن تهبط بهذا الكمال الى
حضيض ما نسميه فكراً ومنطقاً وعلماً وتجربة وواقعاً ؟



آخر قصيدة لشوقي أوشك أن يطيسها النايخ

في الجزء الرابع من الشوقيات والذي نشر وأعيد طبعه
أكثر من مرة بعد وفاته ، إحدى قصائد شوقي التي قالها تحية
« لشروع القرش » والتي يقول في مطلعها :

لا يقيمن على الضيم الأسد	نزع الشبل من الغاب الوتد
كبر الشبل وشبت نابه	وتغطي منكباه بالبد
اتركوه يمشي في آجامه	ودعوه عن حمى الغاب يذد
واعرضوا الدنيا على أظفاره	وابعثوه في صحارها يصد
فنية الوادي عرفنا صوتكم	مرحبا بالطائر الشادي الغرد

الى آخر القصيدة التي تقرب من خمسين بيتاً .

وقد قال جامع الديوان ، ولعله ابن شوقي : أن هذه القصيدة
كانت آخر ما جادت به قريحته . وقد تليت يوم وفاته في وضع

الحجر الأسامي لمصنع « مشروع القرش » .

ولما كنت بحجم اشتغالي في ذلك الوقت بمشروع القرش ،
أعرف الظروف التي قبلت فيها هذه القصيدة المنشورة في
الديوان ، وأنها غير القصيدة التي ألقيت بالفعل يوم مات شوقي ،
فقد فكرت أن أبعث لجامع الديوان ، ليصحح هذه الواقعة ،
وليضم الى الديوان القصيدة الأخرى التي كانت آخر ما نظم
شوقي من الشعر في حياته .

ولكنني تصورت أن الكثيرين من المختصين والدارسين المهتمين
بتحقيق تراث شوقي سوف يتنبهون الى هذا الخطأ ، خصوصاً
وأن القصيدة المعنية منشورة في جريدة الأهرام يوم ١٥
أكتوبر سنة ١٩٣٢ وهو اليوم الذي نشر فيه نعي شوقي بالذات .

وطنية شوقي :

وأتيح لي منذ عام أن أطلع الكتاب القيم الذي ألفه
الدكتور أحمد محمد الحوفي عن وطنية شوقي ، والذي أنصف فيه
شوقي باعتباره قطباً من أقطاب الوطنية ، فوجدته ينقل عن
دواوين شوقي فيما نقل قصيدة « لا يقيمن على الضيم الأسد » ،
ويصفها في صفحة ٢٩٥ بأنها آخر ما جادت به شاعرية شوقي .
وله العذر في ذلك ، فقد كان ذلك هو ما سجل بالفعل في
ديوان شوقي .

ومرة أخرى هممت بأن أكتب مصححاً الواقعة التي كنت
شاهدأ عليها ، ومرة أخرى صرفني عن هذا الخاطر ، أن لا
أبدو متطفلاً على موائد الأدب والشعر .

الاستاذ فتحي رضوان وشوقي :

ولكن الاستاذ فتحي رضوان وهو الأديب الكبير ، أصدر
أخيراً كتاباً يسجل فيه ذكرياته عن الرجال الذين اتصل بهم
في حياته ، وأفرد فصلاً عن أمير الشعراء شوقي وكيف اتصل
به ليطلب منه قصيدة لمشروع القرش فلبى الطلب ، ثم عاود
الاتصال به ليحصل على قصيدة أخرى تلقى بمناسبة وضع الحجر
الأساسي لمصنع مشروع القرش :

« وكان خاتمة زيارتي لشوقي في أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، فقد
أخذت منه آخر ما نظم من شعر ، قصيدته التي ألقيت في
الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمصنع مشروع القرش في برج
الظفر بالعباسية ، والتي كان عنوانها « فتية الوادي عرفنا صوتكم »
وفد جرت أبياتها الأولى .

« لا يقيمن على الضيم الأسد نزع الشبل من الغاب الوتد »

ونقل الاستاذ فتحي الخمسة أبيات السابقة الذكر ، ثم راح
يتحدث عن القصيدة ، وكيف كانت مكتوبة على ورقة مزوغة
من كراسة أو ما يشبه ذلك ، مطوية في أكثر من موضع وقد

عبثت بها يد الالهال ... ثم مضى يقول :

ولم أكن أدري ساعة أخذتها منه أنني أتلقى الصفحة الأخيرة
من كتاب ضخم من أضخم ما عرف الأدب العربي والشعر
العربي ... الخ ، .

خاتمة الذاكرة :

ولقد عجبت وأنا أطلع هذا الذي كتبه أخي الاستاذ فتحي ،
فعهدي به قوي الذاكرة بصورة كانت تدعونا أحيانا للعجب
والدهشة ، بل انه ليقدم الدليل على قوة الذاكرة ، وهو يحدثنا
عن شكل الورقة المكتوب عليها القصيدة ، وأنها كانت منزوعة
من كراس ، ومع ذلك فهو ينسى محتويات هذه الورقة ، ويخلطها
بقصيدة أخرى ، نشرت قبل ذلك ببضعة شهور ، وكانت موضع
فخاره واعتزازه .

وهو لو فكر قليلا لعلم أن هذه القصيدة التي يشير إليها
طويلة ، قد تتجاوز أبياتها الخمسين ، ولا يمكن أن تتسع لها
ورقة الكراس ، بل هي في حاجة الى كراس كامل . ومن هنا
فقد أدركت أن واجبي أصبح يحتم عليّ من الناحية التاريخية
البحث أن أصحح هذه الواقعة ، التي أصبحت الشاهد الوحيد
عليها ، ليس فقط من أجل مكانة شوقي من تاريخنا الوطني القومي
والفني ، ووجوب الاحتمال بكل ما يتصل به ، وخاصة آخر

ما جادت به شاعريته وختم به حياته ، ولكن من حيث كون هذه الحادثة تصلح لأن تكون نموذجاً ، لما يمكن أن يقع فيه حق التاريخ المعاصر الذي لا يزال شهود حوادثه أحياء من أخطاء . وكيف أن خطأ يقع في كتاب ، لا يلبث أن يصبح أصلاً ينقل عنه باعتباره مصدراً لا يرقى إليه الشك من حيث إثبات الحقيقة . بل ان الشخص الوحيد المتصل بالحدث والذي يعرف حقيقته ، قوتحونه الذاكرة ، فيتخذ المنثور خطأً باعتباره الحقيقة التي عاينها بنفسه .

ما هي آخر قصيدة لشوقي ؟ :

فما هي الحقيقة إذن ، وما هي القصيدة التي تليت يوم وفاة شوقي ؟ انها قصيدة لا تريد عن ثلاثة عشر بيتاً ؛ أدع للشعراء ونقاد الشعر وزنها من الناحية الفنية وتقيسها ، أفا بالنسبة لي ، فأني أذكر أنه عندما قدمها لي الأستاذ فتحي منذ خمس وثلاثين سنة ، قال لي أن أمير الشعراء قد اعتذر عن ضالة القصيدة ، وشكاه من أن الله لم يفتح عليه إلا بهذه الأبيات ، ولا يدري ماذا حلّ به .

ولقد فكرنا في أن لا نلقي القصيدة في الاحتفال ، لأنها على غير ما تعودنا من شوقي جزالة في اللفظ ، وتدققاً في المعاني ، وإشراقاً في الديباجة .

وإليك نص القصيدة التي يجب أن تأخذ مكانها في التاريخ
الأدبي باعتبارها آخر ما نظم أمير الشعراء ، وليست القصيدة
الأخرى :

المملك بالمال والرجال	لم يبن ملك بغير مال
والمال ركن الشعوب يؤدى	اليه في السلم والقتال
يا عصبة القرش قد صنعتم	ما لم يقع قبلكم ببال
وقفتموا في سبيل مصر	ومجدها موقف السؤال
أخذتمو القرش من يمين	مدت إليكم ومن شمال
هذا خطاكم في البر آسى	مبارك طيب الخلال
كأن الفرقد بن سينا	في رفعة الذكر والخلال
واليوم تبنون ركن دار	كريمة الوضع والمثال
الحمد لله قام منا	أواخر تموا الأوالي
ويسد جيل مكان جيل	الله من سابق وتال

وقد مات شوقي رحمه الله يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ،
ونشرت هذه القصيدة في جريدة الأهرام في اليوم التالي أي في
١٩٣٢/١٠/١٥ في ذات الوقت الذي نعت فيه شوقي الى الأمة
العربية والإسلامية .

ومع ذلك فإن هذا النشر في أوسع جريدة في مصر ، لم
يجب كما ترى من طمس معالم هذه القصيدة واستبدالها بأخرى

قلت قبل ذلك ونشرت في جريدة البلاغ قبل ستة أشهر. وأن
يساهم في طمس هذه الحقيقة (من غير قصد بطبيعة الحال)
الرجل الوحيد القادر على تصحيحها ، على الرغم من اشتهاره
بقوة الذاكرة والدقة والألمعية .

فمضى أن يجعلنا ذلك أكثر تواضعاً ، ونحن نؤكد وقائع
التاريخ التي حدثت منذ مئات وربما ألف من السنين ،
وأن نخفف من تعصبنا ضد من قد يسوقون الوقائع على
وجه آخر ، ومن أجل هذه الدعوة إلى التواضع والتسامح
والتحفظ ونحن نؤكد حقائق التاريخ ، رأيت أن أسجل
هذه الواقعة .



وليم الدم

قصة

...وسرى في الباخرة التي كانت تقوم بجولة سياحية في البحر الأحمر ، نبأ قرب اصطياد سمكة ضخمة من أسماك القرش ، فكان الخبر في نفوس الجميع هزة فرح عنيفة ، ليس فقط لأن هذا الحادث يضع حداً لحياة الملل التي يجيئون منها منذ أمد بعيد ، ولكن لأنهم سيواجهون في نهاية الامر بعد طول انتظار هذه التجربة المثيرة ، تجربة اصطياد القرش ورؤية هذه السمكة المتوحشة ، ما أكثر ما سمعوا القصص والروايات عن أسماك القرش ، وكيف أنها قضمت ساق انسان ، وقطعت يد انسان آخر ، حتى لقد أصبحت أجسادهم ترتجف كلما ترددت هذه الكلمة على أسماعهم .

واحتشد ركاب السفينة في المؤخرة ، حيث كان الربان مع بعض معاونيه من البحارة يستعدون لإصطياد القرش . ويسأل طفل صغير أمه التي كانت تجره جراً ليشهد معها هذا الحدث المثير :

- وما القرش يا ماما ؟
- القرش يا حبيبي نوع من السمك المتوحش المفترس .
- وما معنى مفترس يا ماما ؟
- وقد فوجئت الأم بهذا السؤال ، فترددت بعض الشيء في
الاجابة ثم لم تلبث أن قالت في تثاقل .
- مفترس ... مفترس انه يأكل الأسماك و ...
- وقطع الطفل حديث أمه ...
- ونحن يا ماما ألسنا نأكل السمك ؟
- وارتج على الأم من جديد ، ولكنها لم تلبث أن انفجرت في
عاصفة من الضحك ثم قالت لابنها :
- لا .. هذا شيء آخر . . القرش يأكل الانسان نفسه
أحيانا .
- ولمعت عينا الطفل وقد أثارت هذه الفكرة ، وأمرع
يسائل أمه :
- وهل أكل هذا القرش أحد الأطفال يا ماما ؟
- وضاقت الأم بهذه الأسئلة وبهذه الفكرة القائمة ، ففكرة
أكل القرش لأحد الأطفال وشدت في حركة تلقائية على ساعد
ابنها وقالت له :
- معاذ الله أن يكون قد أكل أحداً ، اننا في هذه السفينة
لا خوف علينا من القرش .

— وهل رأيته أنت يا ماما وهو يأكل طفلاً ؟
 — أنا لم أره ، ولكن الناس تقول ذلك .. انه متوحش ..
 انه فظيع .

وقطع هذا الحديث ، أصوات حشود الركاب المتكاثرين ،
 ذكوراً وإناثاً ، وقد ارتفعت في زئير وصخب بعد أن وقعت
 عيونهم لأول مرة على سمكة القرش ، وقد ظهر رأسها فوق
 الماء ، وراحت تشق الماء محومة حول الباخرة .

وكان الربان قد استجلب أنظار القرش وخياشيمه بما قذف
 به على سطح الماء من دم وأغشية من الدهن الأبيض ، في الوقت
 الذي كان فيه بعض البحارة يلوحون له بصفيحة بيضاء .

وامتلأت خياشيم القرش برائحة الدم المسفوك ، وجذب بصره
 هذه الصفيحة البيضاء المتحركة فوق سطح الماء ، فاندفع في
 اتجاه الطعم ، نحو الدم والدهن وقطعة اللحم التي تخفي بين
 طياتها الخطاف ذا البرائن الحديدية ، ولكن صياح الركاب
 أفزعوه ، فأسرع يعدو مبتعداً عن الباخرة في فزع . وغضب
 الربان وطلب من الركاب ان يخلدوا للسكينة إذا رغبوا في أن
 يسمح لهم بالبقاء لرؤية اصطياد القرش ، ثم أضاف قائلاً :

-- ان القرش يفزع من الصوت ، فلا يكاد يسمع صوتاً حتى
 يعدو هارباً ، وما على الانسان إذا قابل قرشاً ، إلا أن يصفق
 بيديه ، أو يحدث صوتاً من أي نوع كان لكي يفر القرش
 في فزع .

وسكت الركاب الذين كانوا جد حريصين على رؤية المشهد
المثير ، فلم يعد يسمع سوى أنفاسهم الحارة أو تحرك صدورهم
المرتفعة الهابطة وخاصة صدور السيدات والعداري منهن .

وأعاد البحار المختص تلويحه بالوعاء الابيض الذي كان يحركه ،
بينما أعاد الربان إدلاء الجمل الذي يمسك في نهايته بالسنارة
المغلقة باللحم ، وطلب من الجميع الصمت وعدم الحركة ولم
يلبث القرش أن عاود الاقتراب ، وراح يطوف ويحوم حول
الدماء واللحوم والدهون المتناثرة ولكن عينيه كانتا تنوآن
باهتمام لهذه القطعة الكبيرة من اللحم ، وهتفت به غريزته أن
ينأى بنفسه عن هذا الجسم الغريب الناتئ من البحر كأنه
جبل ، ولكن غباوته ، أو شهوته أو قدره ، كانت تدفعه
للاقتراب من الطعم ، فراح يسبح في دوائر تضيق وتضيق ،
وحبس الركاب أنفاسهم وازداد التوتر ، وارتفعت درجة الحرارة
في أجساد الذكور والاناث من بني الانسان ، ولكن القرش
فاجأهم مفاجأة قاسية ، ذلك أنه أدار ظهره واندفع بعيداً عن
الطعم والدم والسفينة كلها ، وغاص في أعماق الماء فاختفى عن
الأنظار ، وانفجر الركاب في عاصفة من التأوهات والصيحات
التي تم عن خيبة الأمل ، ومن جديد ارتفع صوت الربان
مزججراً في شراسة يطلب من الركاب الاخلاذ إلى السكينة ،
وساد الصمت من جديد ، وأمسك البعض بأذرع البعض ،
وتشابكت أصابع أيدي الجنسين ، وتلاحمت الاكتاف والاجساد ،

وقد عراها من جديد التوتر ، وسرى تيار كهربائي بين المحتشدين والمحتشدات دغدع الاجساد . فقد ظهرت سمكة القرش على سطح الماء من جديد ، أو بالأحرى ظهرت زعنفتها وكأنها سكين مشرعة تشق أديم الماء شقاً ، حتى إذا اقتربت من الطعم أبرزت رأسها من الماء وراحت تنو ، ولم تلبث أن دارت حول نفسها دورة ، وغطست في الماء ثم ظهرت .. وسكنت عن كل حركة ، وفجأة اندفعت صوب قطعة اللحم المعلقة في نهاية الحبل ، والتي تخفي بين طياتها الموت الزؤام فالتقمتها في لمحة بصر ، وضج الركاب بالصياح والتصفيق والتهليل فقد وقع الوحش نهائياً ، وفزعت السمكة من هذه الاصوات ، فحاولت أن تجري مبتعدة ، ولكن شيئاً ما عاقها ، شيئاً ما الحشر في حلقها ، شيئاً صلباً لا تقوى أسنانها على قضمه ، وضربت السمكة الماء بذنبها في عنف ، وحاولت أن تنتزع نفسها ولكن ذلك لم يزد هذا الجسم الغريب إلا تشبثاً في حلقها ورأسها ، واهتزت من قسوة الألم ، وتوقفت عن كل حركة لتخفف عن نفسها الألم ، ولتدرك هذا العدو الغريب الذي لا عهد لها به من قبل ، ولكن البحارة لم يتركوا لها فرصة للتفكير والتدبر ، فقد كانوا أسرع منها حركة فراحوا يجذبون الحبل في قوة وسرعة ، جاذبين السمكة ونخرجينها من الماء ، وما هي إلا لحظات حتى كانت معلقة في الهواء لا تقوى على الحركة ، فكل حركة كانت تزيد الكلاليب تشبثاً في جوفها وتقطيعاً له ، وألقى البحارة على السمكة المعلقة أنشودة أخرى من الجبال ، حتى

إذا استقرت في وسطها ضيقوا خناقها فأمسكت بها من وسطها، وكانت زعانف السمكة تحول دون انزلاقها، وهكذا أحكم وثاق السمكة، وبدأ البحارة في العملية التالية، عملية جذبها إلى سطح الباخرة، وكان الدم قد بدأ يتدفق بغزارة من حلقها وخياشيمها ويسيل على جسدها الذي كان يلمع تحت وهج الشمس وبريق الماء فزاده الدم وهجاً وبريقاً، وصفق الركاب فرحاً وطرباً لرؤية الدم فقد دل ذلك على أن الوحش الذبيح في الطريق إلى نهايته؛ ولأمر ما انقطع الحبل الذي كان يحمل الطعام أو بالأحرى الذي يحمل الخطاف ذا الكلايب، ودب الهلع إلى النفوس واصفرت الوجوه، من أن يأخذ القرش طريقه من جديد نحو البحر هرباً، ولكن الانشودة الاحتياطية أظهرت فاعليتها فحالت دون فرار السمكة وصرخ الربان الذي كان قد بلغ ذروة التوتر والغضب، في الركاب طالباً منهم إخلاء المكان نجاةً بأنفسهم من الوحش الذي حانت ساعة طرحه على سطح الباخرة، وجرى الركاب في زعر، وخلت مؤخرة الباخرة إلا من الربان ورجاله، وبعض أفراد من الركاب الجسورين. وطلعت السمكة على ظهر السفينة، فلم يكدها يمس الأرض الخشبية، حتى هاجت في عاصفة عنيفة، وراحت تثب وتضرب وتلطم وتتخبط، فأسرع واحد من البحارة كان متهيئاً لهذه الحالة وصب عليها دلواً من الماء العذب، فإذا بالسمكة تهدأ وتسكن كما لو كان الماء العذب مخدراً أصابعها بالدوار، حتى إذا بدأت آثار الماء العذب تخف عادت السمكة إلى هياجها

ولكن بدرجة أخف وأضعف بينما راحت دلاء الماء تنهال عليها فتخمد فيها كل حركة وتقرب نهايتها .

حتى إذا خارت قوى السمكة نهائياً ، وأوشكت على لفظ أنفاسها ، أقبل نوتي يحمل سكيناً ضخماً مشحوداً فطعنها به في بطنها في قوة وعنف ، ففاص السكين حتى قبضته ، واختلجت أطراف السمكة في ضعف بينما أسرع النوتي يجر السكين جراً بطول بطن السمكة ، فتدفقت الدماء الغزيرة الحمراء القانية ، وتحول سطح السفينة حيث ترقد السمكة إلى بركة من الدم ، وهلل الركاب لمرأى الدم فقد كان ذلك إيذاناً بانتصارهم على الوحش ، وكانوا قد عادوا للاحتشاد حول الذبيحة بعد أن أصبحت لا تشكل لهم أي خطر ، وتلاحقت يد النوتي تنتزع من بطن القرش كتلاً دامية من اللحم لم تكن إلا قلبه ومعدته وأمعائه وكبدته وطحاله وتقذف بها إلى البحر ، والنشوة تملأ المشاهدين مع كل قطعة تنتزع من جسد الوحش ومزق صوت الطفل حبل الصمت الذي كان قد ران على الجماعة كرد فعل لما عانوا من توتر :

— ولكن أين الطفل الذي أكلته السمكة ، انه لا يوجد في بطنها .

وانفجر الجميع ضحكاً من هذه الملاحظة البلهاء بينما جذبت الأم طفلها وقالت له في صوت زاجر :

— ولكنني قلت لك انه لم يأكل أحداً !

فانفتحت عينا الطفل في دهشة وقال :

— إذن لماذا قتلناه ... والنبي حرام يا ماما .

وعلت ضحكة الحاضرين من جديد على هذا الطفل الغرير
الساذج .. وراحوا يتفرقون بعد أن انتهى المشهد ، وكل يعلق
على الحادث .

— أهذا إذن هو القرش ؟

— ما أغباه !

— لقد وقع في الفخ بسهولة عجيبة .

— على كل حال فقد ضمنا عشوة سمك .

— أما أنا فلن آكل بعد أن رأيت ما رأيت .

— لا تكن أبله ... ان لحمها اللذيذ وسوف ترى .

وكان لا يزال في جسد السمكة بعد كل الذي حل بها
بقية من اختلاجات واضطرابات عصبية ، فراحت تتشطح في
دمائها ، وتضطرب زعانقتها ، بينما وقف التوتّي الذي مزق
جسدها مزهواً بنفسه مزهواً بيديه الفارقتين في الدم ، وراح
يمسح السكين المخضب بالدم في إحدى الخرق ، بينما أحاط به
وبربان الباخرة البطل سرب من الأوانس والعداري والغانيات
يهنئنها على ما أحرزا من فوز وانتصار ، وغض الربان بصره في
خجل ، بينما كانت بعض العيون تتوهج برغبات خفية ، وهي
تقع على السكين المخضب بالدم ، والأيدي المملطخة بالدماء ..

عزير المصري الرجل الأسطوري كما عرفته

(١)

كيف سمعت عن الرجل لأول مرة :

ما زلت أذكر هذا اليوم الذي قرع فيه إسم عزير المصري سمعي لأول مرة ، ما زلت احس بالرهشة التي سرت في بدني يومئذ والموسيقى والأبواق العسكرية تعزف مارش اوبرا عايدة ، والخيول الصافقات تتهادى حاملة فوق ظهورها فرساناً من الفراعنة يحملون الأسلحة الفرعونية .

وكان ذلك في شتاء عام ١٩٣١ ، وكنا وقوفاً في الفترة ما بين محاضرتين حول استاذنا الدكتور عبد المنعم رياض الذي كان يشرح لنا بعض ما استغلّق علينا فهمه في القانون الدولي الخاص ، استرعى انتباهنا منظر فريد مفاجئ ، في ساحة الجامعة الخارجية ، وكان المنظر يتألف من كوكبة من الفرسان الذين يرتدون الملابس

الفرعونية ، راحوا ينسابون في حرم الجامعة ثم يتحلقون في حلقة كبيرة وسط زهول الطلاب الجامعيين ، ثم ارتفعت النداءات من قادة هذه الكوكبة ، فانطلقت الموسيقى تعزف ... تعزف نشيد « فردي » الخالد ، نشيد النصر في اوبرا عايدة ، واهتزت أرواحنا ، وأحسنا بنفوسنا تحلق في السماء دون أن نعرف حقيقة هذا الذي نرى ، أهو حلم وخيال أم واقع نتصوره ، وكان استاذنا العظيم الراحل عبد المنعم رياض هو أول من قسر لنا حقيقة ما نرى عندما صاح فجأة :

— هذا عزيز المصري وهذه مدرسة البوليس ، لا يمكن أن يكون هذا الذي نراه إلا من عمل عزيز المصري ، إنني أعرفه ، فليس في مصر كلها من يقدر على صنع هذا الجمال إلا الجنون عزيز المصري .

العبقرية والجنون :

والعجيب أن هذه الكلمة كلمة الجنون التي وصف بها عزيز المصري في معرض الاشادة بعظمته ، ظلت الصفة التي تسم الرجل حتى مات ، ولقد كان أصدقاؤه وأحباؤه يكررونها كما يكررها أعداؤه وخصومه ، ولم يكن هو نفسه يرى حرجاً في تكرارها في اعتزاز ، ولعلها من آخر الكلمات التي سمعتها منه في وصف نفسه قبل أن يموت بأيام ، ذلك أن عزيز المصري باجماع الآراء كان عبقرياً فذاً والفارق بين الجنون والعبقرية يكاد يدق على الافهام

أحياناً فالشذوذ هو الطابع المميز لكليهما .

ونرجع الى قصة هذه المظاهرة التي وصفتها لك فسوف
تكشف عن حقيقة هذا الذي نقول .

لقد كان عزيز المصري قد ولي إدارة مدرسة البوليس منذ
عام ١٩٢٨ فلم يلبث أن أحدث فيها انقلاباً اسطورياً في ذلك
الوقت، ففي الوكر الذي كان يعمده الاحتلال والاستعمار لاجراج
الرجال القادرين على خنق كل حرية في مصر بدأت تنطلق أعظم
صيحات للحرية في ذلك الوقت ، لقد تحولت المدرسة التي قامت
على أساس النظام العسكري الصارم لاجراج رجال أشبه بالآلات ،
الى جامعة تتمتع بأكثر النظم إمعاناً في حرية الفكر والتصرف
وتربية الخلق ، ولن يصدق قارئ هذه السطور الآن أن
عزيز المصري في عام ١٩٣٠ قد أمر أن لا يوضع قفل على دواليب
الطلاب ، لأنه لا يتصور أن يوجد بين طلبة البوليس الذين
سيكونون حفظة الأمن في المستقبل من يسرق زميلاً له ، ونزعت
الأقفال عن الدواليب ... ولم يقع حادث سرقة واحد .

ولن يصدق قارئ هذه السطور الآن أن عزيز
المصري قد جرب أن لا يكون هناك في الامتحانات رقباء على
الطلبة ، فضباط البوليس الذين هم عنوان الامانة لا يمكن أن
يغشوا في الامتحانات ... وأجرى عزيز المصري فعلاً امتحانات
بغير رقباء .

ولن يصدق قارىء هذه السطور الآن أن عزيز المصري منذ ثمان وثلاثين سنة ، كان يجمع طلاب مدرسة البوليس مرة كل اسبوع ليحاضرهم ، لا في العسكرية التي كان أحد أئمتها ، ولا في العلوم ، أو في الاخلاق ... وإنما في الوطنية في اعداد الشعب للكفاح الطويل ضد الاستعمار .

كل ذلك حدثنا به عبد المنعم رياض في هذه اللحظات التي كنا مأخوذين فيها بالمتظر المثير الذي لا يزال منقوشاً على صفحات روحي قبل ذاكرتي طوال هذه السنين ، والذي كان ينطق بنفسه بأكثر مما حدثنا به عبد المنعم رياض .

وعندما صاح فرسان الفراعنة من طلاب البوليس :

— مدرسة البوليس تحيي الجامعة .

دوى هتاف ألوف الطلاب من أبناء الجيل الجديد :

— الجامعة تحيي مدرسة البوليس .

وخفق قلب مصر ، وخفق التاريخ بهذا النبض الجديد في الحياة المصرية .

وقابلته لأول مرة

ومضى عامان على هذه المظاهرة ، تخرجت فيها من كلية الحقوق وانخرطت كما انخرط غيري في سلك المكافحين من أجل

حرية مصر، وكان أن زج بي الى السجن أكثر من مرة، وأصبحت أمثل في نظر رجال الأمن والبوليس من الانجليز ، نوعاً خطراً من المجرمين السياسيين الذين يجب أن يحاصروا ثم يبادوا .

وفوجئت ذات يوم عقب فراغي من المرافعة في احدى القضايا ، بقاضي المحكمة يطلب مني أن أقابله عقب الجلسة في حجرة المداولة ، ولم يكن هذا القاضي سوى الأستاذ شافعي اللبان الذي قال لي عندما قابلته إن رجلاً عظيماً يرغب في التعرف اليك وذلك الرجل هو عزيز بك علي المصري مدير مدرسة البوليس .

وعندما اتصلت تلفونيا بعزيز المصري لأسأله أين ومتى أستطيع التشرف بمقابلته ، اذا به يفاجئني بقوله :

— تعال الآن .

— أين؟؟

— هنا في مدرسة البوليس ، ألا تعرفها ؟

وكدت أصعق من هول المفاجأة ، بهذه البساطة يستقبلني الرجل في مدرسة البوليس ... أنا الشريد الطريد من رجال البوليس .

ومع ذلك فقد كان ذلك هو الواقع وما هي إلا ساعة من زمان حتى كان بعض الجنود يقودونني الى حجرة مدير المدرسة،

وكان قلبي يخفق من التوتر والخوف والإعجاب بالاروقة القائمة التي كنت أسير فيها وهي تشع بالنظافة والبأس والنظام .

ووقع بصري لأول مرة على عزيز المصري ، فاذا هو شيء نسيج وحده ، طراز فذ بين جميع الرجال الذين عرفتهم حتى ذلك الوقت ، بل وحتى هذه اللحظة ، رأس كبير يتوجه شعر أبيض ووجه مشرق يكاد يشع ضوءاً وقامة قد جعلها القصر أكثر ما تكون قوة وحيوية .

ولم أكد أصفحه ويشرع في محادثتي ، حتى كنت يروعي بأسلوب حديثه وموضوعه الذي يجعل كلمة الجنون تتردد في الذهن أو العبقرية إذا شئت لأن هذا الذي تسمعه لا يمكن أن يصدر عن إنسان عادي من أي نوع كان .

لقد راح الرجل يحدثني أنه سمع عني ما سره ، وأنني أشارك مع الشباب الآخرين في كفاح الاستعمار ، وأننا نستطيع أن نجعل منه أباً لنا ومستشاراً ، وأن نزوره في أي وقت نشاء ليلاً أو نهراً ، دون أن نخشى تدخل أحد ، فهو لم يقبل منصب مدير مدرسة البوليس إلا على هذا الشرط ، ووزير الداخلية نفسه لا يمكن أن يتدخل في مدرسة البوليس .

وتلقيت من عزيز المصري لأول مرة دستوره الذي ظلمت أسمعه منه بعد ذلك خمساً وثلاثين سنة ، والذي كان يتلقاه عنه ويسمعه منه كل من اقترب منه من الشباب والذي يتلخص في ثلاث نقاط :

— الإيمان العميق بالله روح الكون .

— تغذية العقل وتقوية الروح بالمطالعة الدائمة والثقافة
الواسعة .

— التدريب على اطلاق النار ، تمهيداً لتخليص البلاد من
الخنونة وأعداء الشعب .

لمحة من تاريخ عزيز المصري:

وكان طبيعياً أن أدرس تاريخ هذا الرجل الذي أذهلني ...
والذي يشذ عن كل من عرفت وظللت أعرف من السياسيين وغير
السياسيين .

وسرعان ما عرفت أنه قبل أن نولد بثلاثين أو أربعين سنة،
ولد هو في مصر من أسرة شركسية الأصل ، وكان من أوائل من
تخرجوا من المدرسة التوفيقية الثانوية، ثم سافر إلى تركيا والتحق
بالمدرسة الحربية بها ، وكان أوائل المتخرجين فيها يلحقون بكلية
أركان الحرب ، فكان أن دخل كلية أركان الحرب في استنبول
وكان يشرف عليها كبار العسكريين الألمان . وكان من زملائه
أنور وطلعت كوكبا جمعية الاتحاد والترقي وعصمت اينونو
(رئيس الجمهورية التركية بعد ذلك) ولكن عزيز المصري كان هو
الأنبه والأكثر جسارة ، والأوسع ثقافة والأكبر أحلاماً ، فقد
كان يراوده منذ صباه المبكر أن يبتعث مجد الإسلام من خلال

اعادة تجميع العرب . ولكن جنسيته المصرية التي لصقت بإسمه جعلته موضع الحسد والغيرة من إخوانه الأتراك ، بحيث عاش في سلسلة من الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك له على الدوام .

ولكنه استطاع دائماً أن يكون المبرز ، وأن يكون النجم الساطع في كل عمل يندبه له قادة الجيش العثماني ، فلما ادلهمت ثورة البلغار ضد الدولة العلية ، ارسل عزيز المصري فيمن ارسل لاختاد هذه الثورة بالحديد والنار . ولكن عزيز المصري الجسور المقدام ، سرعان ما فتن بحسرة البلغار وشجاعتهم ، وسرعان ما توطدت بينه وبين زعمائهم وقادتهم أواصر المحبة والاحترام ، ولقد ذهب عزيز المصري عن الدنيا ، وآخر أحاديثه كانت عن البلغار ، وكيف أنها في الأصل (الفولجار) نسبة إلى نهر الفولجا فهم فرع من الروس .

وإذا كانت الشؤون قد أنسته ذكرى المعارك الرهيبة التي خاضها فان صورة (مترو) الفتاة البلغارية التي أحبته والتي قتلها مواطنوها لاخلاصها له ، ظلت حية في نفسه حتى آخر لحظة ، حتى لقد قرأنا الفاتحة سوياً على روحها .

وانتقل من البلغار الى اليونان ليشترك في معاركها ، ثم عاد إلى استنبول ليشترك في الانقلابات التي فرضت على السلطان عبد الحميد إعلان الدستور أولاً ، ثم عزله ثانياً . واشترك في تأسيس رئاسة جمعيات كانت تعتبر جديدة في دنيا ذلك الزمان ، وهي الجمعية القبطانية ، ثم جمعية العهد ، والعربية الفتاة ... وفي كل هذه

الجمعيات والحركات ... كانت يدعو عزيز المصري إلى توحيد البلاد العربية تمهيداً لبعث الإسلام . وتحمل الجمعيات ، ويطارد عزيز المصري ، ولكن الجيش في حاجة إليه دائماً ، إذ يجب أن يذهب إلى اليمن .. ويذهب عزيز المصري إلى اليمن، ويقوم بدور تسجله له كتب التاريخ ، وكان من آخر ما حدثني عنه ، إنه انتقل من اليمن إلى طرابلس الغرب سنة ١٩١١ ، ليساهم مع المجاهدين في حرب الطليان، ويبرز نجمه من جديد، ويشهد خطره فتحوطه الدسائس وتدبر له المؤامرات ويحاكم بتهمة الخيانة، ويصدر عليه حكم الاعدام ، ولكن الرأي العام العربي والإسلامي يثور على هذا الحكم ويرى سلطان تركيا أن من الأحكم والأصوب أن يبدل الحكم إلى الأشغال الشاقة ثم يطلق بعد ذلك سراحه ، وهكذا ينجو الرجل بأعجوبة أو بمعجزة ، وسيظل ذلك طابع الرجل طول حياته بعد ذلك ، حيث تدبر له المحاكات وتصدر عليه الأحكام ، ثم لا تلبث أن تتلاشى كأن لم يكن شيئاً ، وهو ما أضفى على الرجل طابع الاسطورة . وليس ذلك الذي سرده عليك إلا لمحات من سيرة الرجل التي سمعنا أكثرها من الناس ، وتلقيناها عنه بالتفصيل على مر الأيام ، فلم يكن هناك ما يحرك نفسه حتى لحظاته الأخيرة في الحياة سوى هذه الذكريات العاطرة ذكرى أيام الشباب ، وكان الرجل في زياراتي الأولى له والتي كانت تتم مرة كل اسبوع أو كل اسبوعين على الأكثر ... لا يفتأ يستطرد من كل حديث يجذبني إياه عن دستور الثلاثي :

— الإيمان بالله .

— مداومة الاطلاع .

— التدريب على ضرب النار لقتل الخونة وأعداء الشعب .

وكان هذا القسم الاخير من تعاليمه هو الذي يؤرقني دائماً ،
وينشئ ما يشبه السد بيني وبينه ، فأنا بطبيعتي أكره العنف ...
وكان من الممكن أن يكون إلحاح الرجل على هذه النقطة ،
سبباً للتفريق بيني وبينه ، ولكن العجيب أن الرباط كان يزداد
توثقاً على مر الايام ... ذلك أنني كنت أرى خلف هذه الصرامة
قلباً وديعاً رحيماً حتى لتدمع عيناه من فرط الانفعال والتأثر
لمجرد أن يرى طفلاً يتألم .

تعيينه رائداً لولي العهد

وقد فوجئنا ذات يوم والحديث يدور عن سفر فاروق ولي
العهد إلى إنجلترا لكي يتعلم ، بعزیز علي المصري يختار ليكون
رائداً ومشرفاً على بعثة تعليم ولي العهد في إنجلترا ، ثم لم يلبث
هذا اللقب لقب الرائد أن انتقل عنه إلى أحمد حسنين باشا ،
وأعلن أن منصب عزیز علي المصري ، هو كبير المعلمين ، وأن
الملك فؤاد قد أنعم عليه بهذه المناسبة برتبة الباشا ، فأصبح
عزیز باشا المصري .

وذهبنا والفرح يملأ قلوبنا لنهنيء الرجل ، بالمنصب الجديد

والرتبة ، فكل تقدم للأبطال والاحرار لا يمكن إلا أن يعود بالخير على كافة الاحرار ، وكان ظننا والرجل قد أصبح محل تقدير الملك ، وأكثر إتصافاً بولي العهد الذي سيكون ملكاً في القريب ، أن يكون عزيز باشا المصري أشد تفاؤلاً بالمستقبل ، وأقل مرارة ، وتحريضاً ضد رجال العهد ، وانه على كل حال سيكون أكثر حذراً واحتياطاً ، فلا يروح يحرك أصبعه هذه الحركة التي كادت تصبح شعاراً عليه ، والتي يثقل بها حركة اطلاق الرصاص بتحريك زناد المسدس ، فما راعنا إلا أن نجد عزيز باشا المصري أشد ثورة وتمرداً على الاحوال الجارية من عزيز بك المصري ، ونراه يسخر من رتبة الباشا ولا يرى فيها أي ميزة إلا أنها ستكبد بعض المصروفات ، ويهاجم الملك الذي استبدل به في آخر لحظة أحمد حسنين على رأس البعثة ، ولا يرى في ذلك إلا نذير شر .

ويعود الرجل إلى التبشير بدستوره الجديد .

★ ★

ووجدتني من جديد أسائل نفسي وأنا أخرج من مقابلة عزيز باشا المصري كبير معلمي ولي العهد ، أياكون الرجل بالفعل مجنوناً ؟ هوذا إنسان يحصل على أعلى الرتب ، ويحل من ثقة الملك إلى المكان الأرفع ، فيعهد إليه بالاشراف الفعلي على تعليم ابنه في إنجلترا ، ومع ذلك فهو لا يفتأ يكرر هذا الحديث الخفيف . . .

حديث قتل الخونة وأعداء الشعب ... لقد كان ذلك شيئاً يفوق
الشجاعة ... يفوق الجسارة ... يفوق التطرف ... إنه
جنون ... أو عبقرية ... ولكن لماذا لا يكون جنوناً .

اصطدام بين عزيز المصري وولي العهد

وفي لندن يحاول عزيز المصري أن يجعل من فاروق رجلاً ،
في الوقت الذي تعمل فيه بقية الحاشية على أن تخلق منه « رباً »
فعزيز المصري يخرج بفاروق إلى الخلاء في ملابس رياضية
ممتطين صهوات الخيل ، فإذا ببقية الحاشية وعلى رأسهم حسنين
يعدون وراءهم بالسيارات وهم يحملون المعاطف الثقيلة والكوفيات ،
ويدثرون بها فاروق خوفاً عليه من البرد والهواء .

وبينما يخاطبه عزيز المصري باسمه مجرداً ، ويلقي عليه
الدروس والنصائح يأبى الآخرون إلا أن ينادوه بأكبر ألقاب
التعظيم وأن ينحنوا له ويقبلوا يده .

وكان طبيعياً أن يحدث الاصطدام بين هذين التيارين وأن
يكون فاروق والحاشية في جانب ، وعزيز المصري بمفرده في
الجانب الآخر ، وقبل عزيز المصري التحدي ، ووقف موقفاً
يضم إلى عشرات مواقفه الاسطورية ولكنه في نظري يمثل أعلى
هذه المواقف طراً .

وتبدأ القصة في أن أم فاروق الملكة السابقة نازلي ، كانت

ترسل له خطابات تفيض بعبارات الأنين والحزن على فراقه ، وأنه لا يرقأ لها دمع ولا يغمض لها جفن إلى أن يعود ، وكانت أخواته الأميرات يرسلن له مثل هذه الخطابات الباكية ، وكان فاروق يضطرب ويحزن بدوره ويقلق ولا يعود يعي دروسه ، فكان أن كتب عزيز المصري في تقريره الشهري للملك فؤاد واصفاً هذه الحالة، واقترح أن تعدل الملكة نازلي وبقيّة الأميرات عن هذا الأسلوب ، وان يستعضن عنه بأسلوب يشع بالتفاؤل وتشجيعه على المضي في الدرس والتحصيل .

واستدعى الملك فؤاد زوجته وانتهرها وزجرها وندد بها وبتصرفاتها التي ستكلف ابنها، ولم يقف عند حد توصيتها بتعديل اسلوب الكتابة ، بل حظر عليها أن تكتب لفاروق .

ولم يعد فاروق يتلقى رسائل من أمه أو اخوته ، ولما سأل رائده أحمد حسنين عن السبب ، عزاه إلى عزيز المصري، وأطلعته على التقرير الذي بعث به إلى أبيه .

وغضب فاروق على عزيز المصري ، ولكنه لجبهه وخوفه منه لم يصارحه بشيء، واكتفى بأن لا يتحدث معه أو يسلم عليه ، فاذا حدث أن وجه عزيز المصري إليه كلاماً لم يرد عليه .

وكان طبيعياً أن يضيق عزيز المصري بذلك . فاستوقف فاروق ذات صباح في عنف ووجه إليه القول التالي :

— إسمع: أنت ستكون في يوم من الأيام ملكاً، وأول مظاهر

الملك أن يكون شجاعاً ، فكيف ترضى لنفسك أن تكون بهذا
الجن. إنك تقاطعني منذ بضعة أيام. وهذا عمل الأطفال والصبيان ،
لا تصرف الملوك وأولياء العهد ... فيها كن شجاعاً وأجبنى...
لماذا تفعل ذلك .

وقال له فاروق — بعد تردد وتلعثم — انه كان السبب في أن
حال بين « ماما » وبين أن تكتب له .

وسأله عزيز المصري في شدة :

— من الذي قال لك ؟

— عرفت .

— كيف ؟

وصمت فاروق ولم يجب .

ودعا عزيز المصري أعضاء البعثة للاجتماع ، وعلى رأسهم
أحمد حسنين في قاعة الاجتماعات .

ثم وجه الحديث إلى فاروق :

— إن الذي أطلعك على التقارير ، قد خالف الأمانة التي
عهد إليه بها . فإن المادة ... من التعليقات تنص على أن التقارير
التي تكتب عن شئون ولي العهد يجب أن تكون سرية ولا يطلع
عليها بأي حال من الأحوال . ومعنى ذلك ان من أطلعك عليها
خائن ، وقد خالف القانون الذي هو من عمل الملك ، ولذلك فمن

أول صفات الملك هو احترام القانون ، واحترام كل من يخالفه ، ثم أضاف عزيز المصري وهو ينظر شذراً إلى أحمد حسنين .. على أن هذا الذي خان أمانه فأفشى السرية ، لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزته إلى ما هو اسوأ وهو الدس والوقية .

وطلب عزيز المصري من فاروق أن يتلو ما جاء في التقرير خاصاً بموضوع الخطابات ، ولما حاول أن يتردد ، انتهره فانصاع لأمره ، وبعد أن فرغ من تلاوة الفقرة سأله عزيز المصري ... أفى هذا الذي قرأ معنى طلب الكف عن الكتابة .. وأطرق فاروق ولم يجر جواباً .. بينما مضى عزيز المصري يقول « إذا كان هذا هو سبيلك إلى المستقبل ، فما أخوفني على مستقبلك » .

ولم يستطع حسنين أو أحد من أفراد البعثة أو فاروق نفسه أن ينبس ببنت شفة ، فقد كانوا يعلمون أن الملك فؤاد لو دري بما حدث فسوف يكون عقابهم شديداً .

وكف عزيز المصري منذ هذه اللحظة عن مخاطبة فاروق إلا أن يعتذر له ويحس بالندم ، وهو ما فعله فاروق بالفعل . فما كان من عزيز المصري إلا أن عاودته طيبته فربت على ظهر فاروق وقال له إنني أعتبرك مثل ابني وقد ساحتك .

فاروق ملكاً

وما هي إلا بضعة أسابيع بعد هذا الحادث حتى أصبح فاروق ملكاً وعاد من إنجلترا ليتبوأ عرش مصر ، عاد وعاد معه أحب رجل إلى نفسه وهو أحمد حسنين رائده ، وأبغض

إنسان إلى قلبه وهو عزيز المصري معلمه ، وكان الملك يقرر بذلك مصيره من حيث لا يدري .

و كنت من الذين ذهبوا إلى عزيز المصري لتنهئته بسلامة العودة ، وبتولية فاروق الملك ، مما يجعلنا نؤمل في دور كبير يلعبه عزيز المصري في حياة الشعب المصري لتحقيق أحلامنا ، فإذا به يفاجئنا كالعادة بما يطفئ نار الحماسة في قلوبنا ، وإذا به يحدثنا هذا الحديث السابق الذي رويته لك ويمضي في حديثه لأول مرة كاشفاً عما يجري من فساد في القصور ، وعن الملكة نازلي وعن سيرتها غير الكريمة ، وعن حسنين ومحاولاته المستمرة لافساد الملك الشاب ، و يروح يشرح لنا سيراً من جنون فاروق ، وكيف وجد معه في مرة من المرات علبة صغيرة بها حبوب من السم ، وأنه قتل بها يوماً إحدى الخاديمات على سبيل التجربة ... ولقد رويت عن فاروق فيما بعد حوادث أشنع من ذلك بكثير وجاء الوقت الذي كان فيه فاروق ينعت بأخس الصفات .. ولكن عزيز المصري عندما كان يحدثنا ذلك الحديث في عام ١٩٣٦ حيث كانت مصر تعقد على فاروق أكبر الآمال ، كان يصيبنا بأكبر صدمة ، ولا يلبث أن يستطرد إلى موضوعه الأثير ألا وهو حضننا على :

— الإيمان بالله وحده .

— والادمان على المطالعة والتثقف .

— والتدريب على اطلاق النار لتخليص البلاد من الخوثة

وأعداء الشعب .

وأخرج ويخرج غيري من لدن عزيز المصري يتنازعنا دائماً ،
هذان العاملان المتجاوران المتلازمان ، الإعجاب الذي يصل إلى
حد الذهول بهذا الرجل الاسطوري الذي لا تغيره المناصب أو
الرتب أو الجاه ولا يزيده تقرب سلطان له ، إلا إصراراً على
ثورته على الأوضاع الفاسدة وتمرده .

وعامل آخر هو ... الانكار لهذا التهور الذي يبديه في
أحاديثه وعدم الأخذ بأي سبب من أسباب الحذر أو الاحتياط .

مفتش في الجيش

ودارت الأيام دورتها وجاء محمد باشا محمود إلى الحكم عقب
إقالة وزارة الرئيس السابق مصطفى النحاس في مطلع عام
١٩٣٨ ، وأفرج عني من السجن الذي كنت فيه حيث كنت
أحاكم في قضية وصفت في ذلك الوقت بأنها شرع في مقتل
رئيس الوزراء ، وكان محمد باشا محمود هو صاحب الفضل في الإفراج
عني ، فلما ذهبت إليه شاكرأ ، سألتني فيمن سأل عما تتوق إليه
الامة والشعب من آمال ولما كانت نذر الحرب العالمية الثانية قد
بانت على الأبواب ... وأصبح إيمان الشعب يتلخص في أنه لن
يكون ثمة سبيل لتحرير مصر إلا من خلال الجيش ، فلم أتردد
ساعتئذ في أن أقول له ان أعظم ما يمكن أن يحققه لبلاده هو
أن يضع عزيز باشا المصري على رأس الجيش .

وقد كان فرح الأمة عظيماً ، عندما فوجئوا ذات صباح

بتعيين عزيز باشا المصري مفتشاً للجيش المصري بالفعل . ولكن الانجليز الذين كانوا أصحاب الكلمة في الجيش حينذاك تمكنوا بعد قليل أن يجمدوا نشاط عزيز باشا ، وان يعزلوه تماماً ولكن الضباط الشبان ، بدأوا يتصلون به وراح ينفخ فيهم من روحه المتمردة الوثابة ويلقنهم دستورهِ الثلاثي المعروف ...

وقبيل اندلاع نيران الحرب جاءت وزارة علي ماهر وكان وزير دفاعها صالح حرب فجعلت من عزيز المصري رئيساً لاركان حرب الجيش ومنحته رتبة الفريق وأطلقت يده في اصلاح الجيش .

وهكذا وصل عزيز المصري أخيراً إلى أرفع الرتب العسكرية ، وكان مجرد التلفظ باسمه كافياً لاشاعة روح الحماس وسط الجنود قبل الضباط حتى ولو لم يعرفوا شيئاً من تاريخه .

في مكتب رئيس اركان الحرب

ودخلت لأول مرة في تاريخ حياتي إلى مكتب رئيس أركان حرب الجيش المصري في وزارة الدفاع ، لأقابل عزيز باشا المصري ، كما دخلت لأول مرة في حياتي إلى مدرسة البوليس لأقابل عزيز المصري ، وفوجئت بنفس الظاهرة التي تميز هذا الرجل من دون العالمين ، وهو أن المناصب مهما كانت خطورتها ، أو علو مكانتها لا تستطيع أن تغير في اسلوب الرجل ، أو

حديثه أو طريقة تصرفه ، لقد راح يحدثني وكانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت بالفعل ، كيف ان هذه الحرب ستشهد نهاية الامبراطورية الانجليزية والفرنسية ، وكيف ان طلاب الكلية الحربية وبعض ضباط الوحدات قد طلبوا منه أن يشرح لهم المعارك الدائرة في اوربا فراح يشرحها بما يظهر عجز الانجليز وفشلهم وقرب اندحارهم .

وأنظر للرجل رغم صحبتي الطويلة له في زهول أكثر من أي وقت مضى ، أنظر إليه وهو في بزته العسكرية وشارات رتبه تزحم كتفيه ، وهو جالس خلف مكتب ضخم مزدحم بالتليفونات والأجهزة ، التي قد يكون في أي منها ما يسجل كل كلمة تخرج من فمه ، وأهتف بالرجل في شيء من الحدة ونفاذ الصبر :

— ما هذا يا باشا ... أتتصور أن باستطاعتك أن تستمر في هذا المنصب وأنت تتحدث عن الانجليز بهذه اللهجة وهم في حالة حرب ، ألا ترى أنه من الخير أن تصطنع شيئاً من الكياسة والمداورة والمصانعة ، حتى تتمكن ، وحتى تجمع الجيش حولك ، فينظر إلي في ابتسامته الوديدة الرقيقة المليئة بعطف الأب وحنوه على ابن صغير مدلل ويقول في سخرية :

— إن الانجليز يعرفون من هو عزيز المصري ، ولو قلت غير ذلك لما صدقوني ولظنوني أتأمر عليهم ، ولذلك فلا يمكن إلا أن أكون كما أنا ... إن نهاية الانجليز قد قربت ، عليك أن تقول للشباب أن يستعدوا وأن يجمعوا السلاح ويتدربوا على ضرب

النار ... إن الساعة آتية لا ريب فيها .

وكان من المحقق أن يصح ما توقعته ... فبعد أسابيع كان الانجليز يثيرون أول أزمة مع وزارة علي ماهر حول شخص عزيز المصري وضرورة استبعاده ، ويركن عزيز المصري مؤقتاً ولكنه ينتهز هذه الفرصة ليزيد من اتصالاته بالعناصر الشابة في الجيش والتي سيكون مقدراً لها بعد حين أن تحقق حلم حياته .

اعتقال عزيز المصري بسبي

وأبت الأقدار إلا أن تربط بيني وبين الرجل في مناسبة مؤسفة ، فقد كان الانجليز قد أصدروا أمراً بمجرد نشوب ثورة العراق واشتراك أخي الشهيد مصطفى الوكيل فيها ، يقضي باعتقالي أنا وجميع إخواني ، ولأول مرة في حياتي قررت أن أهرب من وجه الاعتقال الذي لم أكن أعرف مداه وكان يتم لحساب الانجليز ، فانطلقت قوى الأمن في أنحاء البلاد تبحث عني بضعة شهور دون أن توفق في القبض علي ، وفي هذه الأثناء كان عزيز المصري قد استقل طائرة حربية بمساعدة اثنين من الطيارين المصريين ليلحق بالألمان في ليبيا ليشارك في محاربة الانجليز ، فسقطت الطائرة عند مدينة قلوب وتحطمت ، ولكن عزيز المصري ومعه زميلاه نزلوا إلى الأرض سالمين ويهدوء أعصاب وبرود لا يقوى عليه سوى أبطال الاساطير ، اتصل عزيز المصري برجال البوليس في المنطقة وطلب منهم سيارة

لتنقله وصاحبيه إلى القاهرة ، ولم يتصور البوليس أنه يساعد
عزیز المصري وصاحبيه على ارتكاب جريمة الهرب بعد فشل
أخطر مؤامرة . فقدم له العون اللازم لنقلهم إلى القاهرة ...
وفي القاهرة اختفوا عن أعين البوليس والسلطات في منزل
أحد أصحابنا في الدقي .

وعندما اكتشف ما حدث في الصباح ، قامت الدنيا ولم
تقعد ، وهاج الانجليز وماجوا ، وكان في الحكم رئيس حكومة
جديد هو حسين سري الذي هدد بوليس مصر السيامي بالحل
والإلغاء إذا لم يتمكن من القبض على عزیز المصري ... ولكن
جميع الجهود ذهبت سدى .

وحدث أن كان الضابط المكلف بالقبض علي لا يني عن
البحث عن خيط يوصله إلى فوجد واحداً من إخواني يشترى
طعاماً من جروني فقرر أن يتبعه فأوصله التبغ إلى حيث يقيم
عزیز المصري دون أن يتصور الضابط إلا أنه يقتفي أثر أحمد
حسين ، وجمع قواته وحاصر البيت ثم هجم عليه شاهراً سلاحه
ولكنه بدلاً من أن يجد أحمد حسين أمامه وجد عزیز المصري
باشا رئيس أركان حرب الجيش المصري السابق وعدو الانجليز
رقم (١) .

محاكمة ثم حفظ

وتقرر السلطات أن تحاكم عزیز المصري ، وان توضع نهاية

لاستورته وتزيح من الوجود عدو الانجليز الأكبر ، ولكن المحاكمة لا تكاد تبدأ حتى تتحول إلى مهرجانات وطني لعزير المصري الذي وقف موقفاً رائعا هز النفوس ، فعندما اعترض المحامون على تشكيل المحكمة العسكرية لأنها مؤلفة من ضباط يصغرون عزير المصري في الرتبة أعلن عزير المصري أنه مع احترامه للدفاع المحامين فإنه قابل للمحاكمة أمام أي محكمة حتى لو كانت مشكلة من صغار الضباط والجنود وكل الذي يشترطه أن يكونون من الوطنيين الشرفاء ، وعندما وجد القاعة فارغة من الجمهور ، قال لرئيس المحكمة ليس يهمني ما تنتهي إليه هذه المحاكمة مت أو عشت ، ولكن الذي يعني في الدرجة الأولى ، هو أن تفتحوا الأبواب للشعب لكي يأتي إلى هنا ويسمع ويتعلم استدعوا طلاب الحقوق والكلية الحربية والبوليس... ليحضروا هذه المحاكمة ويتعلموا .

ولو أن المحاكمة استمرت واستجيب لطلبات عزير المصري لسجل التاريخ أروع ما يقوله إنسان في مثل هذا الموقف... ولكن الانجليز والحكومة المصرية رأيا من حسن السياسة أن يفلقوا هذا الباب وأن يسدلوا الستار على المحاكمة ... فأوقفوها وحفظوا الإتهام ، وأفرجوا عن عزير المصري ليعود إلى الحرية من جديد.. وعاد عزير باشا يندد بالملك والطبقة الحاكمة والفساد... ويدعوا الشباب أي شباب يقترب منه :

— أن يؤمن بالله .

- أن يداوم على الاطلاع والقراءة .
- أن يتدرب على ضرب النار لقتل الخونة وأعداء الشعب .



عزير المصري مصدر عزاء لكل المجاهدين :

وجاءت أوقات وظروف ، جعلت الدنيا تظلم في وجوه
الأحرار والمجاهدين ، أو بدأت السلطات تطاردهم ، وتلاحقهم
بالسجون والاعتقالات والمحاكمات . وكنت من بين الذين اشتغلوا
بالحركة الوطنية في ذلك الوقت ، فقد أوشك اليأس أن يدب إلى
قلبي ويغشى الظلام حياتي ... فقد أصبحت في فترة من حياتي
رهين السجن ، فلا تكاد أبوابه تفتح لي لاغادره ، حتى يفتح من
جديد ليستقبلني .. لا يكاد يقع في البلد حادث كبير أو صغر إلا
ويجمعنا البوليس من بيوتنا ويلقي بنا في سجن ... فإذا اغتيل
أحمد ماهر ، فيجب أن أكون أول من يحبس . وعندما يغتال
النقراشي فيجب أن أكون أول من يحبس ، وهكذا ... ولم
يكن هذا شأني وحدي ... بل كان شأن العشرات من المشتغلين
بالحركة الوطنية . وأعترف أن الضعف والوهن كانا يتسربان دائماً
إلى نفسي ، ما جدوى هذه الحياة المتكررة المملة حياة السجون
والمحاكمات ... ويتسرب الشك إلى إيماني .

ولكنني كنت أراه دائماً هناك ... قبلنا جميعاً ، وكان هو

كما كان دائماً ... عزيز علي المصري ، صاحب الوجه المشرق
والقلب الكبير ... صاحب الروح الوثابة المتأججة .. والنفس
المشتعلة التي لا تهدأ ... ويقابلنا في السجن كما كان يقابلنا في كل
مكان زرقاء فيه ، نفس النضائح ، نفس التوجيهات ... نفس
الحب والحنان ، وكان أكثر ما يروقنا منه ، هو هذا الجلال
والمهابة التي تحف به والتي تجعله وهو في سجن مصر وكأنه في
مكتبه بأركان الحرب .. فنرى مدير السجن يرتجف في حضرته ،
والكل يتسابق لخدمته ... وعندما تصور أحد الضباط الشبان
مرة أن باستطاعته أن يسيء الأدب في حضرته ويستهن به ، إذا
بعزيز المصري ، يضرب الضابط وظل يضربه حتى كاد يحطمه
لولا أن أنقذوه منه وراحوا يعتذرون له ويهدئون من غضبه ...
وجاءوا له بضباط من تلامذته السابقين ، ليكونوا في خدمته ...
وأشهد لقد رأيناهم يحفون به وهم على استعداد أن يفدوه
بأرواحهم .

وكنت أحس بالحنج من نفسي والاجتقار لما يلتابني من
ضعف ... فإذا كان هذا الرجل الذي نيف على السبعين ، والذي
كان أول من دعا إلى الوحدة العربية والبعث العربي ، والذي ارتجت
الدنيا ببطولاته ومواقفه العجيبة .. هذا الرجل الذي كان استاذاً
لكل رجال البوليس في مصر والذي كان معلماً للملك ، والذي
وصل إلى أرقى مناصب الجيش والذي يحمل رتبة الفريق ، يقابل
السجن بكل هذا الرضا والصبر .. أفحق لي أنا الصغير أن

أشكو أو أتملأ ...

وهكذا مضت بنا الأيام والرجل نبراس لنا ورائد ومنار ،
والحوادث تجمعنا وتربط مصائرنا إلى أن جاء اليوم الموعود ، يوم
أن كانت ثورة الجيش لتحرير مصر من كل الذي كانت ترسف فيه .

وهكذا أصبحت نظرية عزيز المصري ودعوته التي لم يفتأ
يردها ويكررها وكأنه كان يعلم ظاهر الغيب ، وأنه لم يكن
أمل في اصلاح الأحوال في مصر إلا من خلال القوة ، ولا قوة
في مصر إلا في الجيش وبين أيدي ضباط الجيش .

وأدع للتاريخ ما قيل عن ابوة عزيز المصري الروحية لثورة
الجيش ، واسرع إلى خاتمة المطاف ونهاية الاسطورة ، عندما
اتيح لي بفضل من الله ونعمه ، أن اعاود الاتصال بالرجل في
الأسابيع الأخيرة من حياته ، وأسمع منه تعاليمه الأخيرة بعد
أن تلخصت في مبدأ واحد ، وخلت من كل حديث عن العنف
أو القتل ، أو الاطلاع والثقافة ، واقتصرت على الدعوة إلى
الإيمان ، الإيمان العميق الصادق .

— بالله .

— وبمحمد رسولا .

— والإسلام ديننا .

عزيز المصري في أيامه الأخيرة

٢

يترنم بمعلقة امرىء القيس - ويتحدث عن كمال سيدنا
محمد وبهائه ويترحم على أول من خفق قلبه بحبها -
ذكريات متناثرة من صباه وشبابه - آخر وصية له
الحب والتعاون في ظل الايمان بالله

البقاء لله

كنت أتهاي للعودة إلى بيتي الذي كنت متغيباً عنه بعد ظهر
الثلاثاء ١٥ يونيه سنة ١٩٦٥ وذلك استعداداً للقيام بالواجب
الاسبوعي الذي فرضته على نفسي آنذاك وهو أن أزور
عزيز المصري كل اربعاء . وفجأة دق جرس التليفون
وأبلغني أخي المقدم عبدالله صادق وقد أخذ منه التأخر كل مبلغ،
نبأ وفاة عزيز المصري ، وكان ذلك بعد الساعة الرابعة مساء

بقليل . ولم أفاجأ بالنبأ ، ولم أسأله متى ولا كيف ، فقد كنت أعرف إجابة ذلك كله ولقد تلقيت الخبر في هدوء وسكينة باعتباره أمراً محتوماً ، بل لقد تلقينته بشعور من الراحة ، فقد كان هذا ما أصبحت أتمناه للرجل العظيم الذي أحبيته وعاصرته خمساً وثلاثين سنة ، فما كنت أحب لهذا البطل الذي رأيته في عنفوانه ، أن يعيش عاجزاً أو ذليل المرض ، إن عزيز المصري الذي عاش بطلاً محارباً ، الذي عاش أمة بمفرده ، عزيز المصري مدوخ الطغاة والمستعمرين المحارب في الجبال والصحاري والوديان من أجل ما يعتقدده حقاً يجب أن يذهب عن الدنيا كما عاش دائماً رافع الرأس موفور الكرامة ، مسموع الكلمة ، مرهوب الشخصية ، ولذلك فطالما تمنيت له في الأسابيع الأخيرة وأنا أرى ضوء حياته يخفت بالتدريج ، وأنا أرى ماء الحياة يحف من أطرافه ، وأنا أرى الاختلاط يديب إلى تفكيره أن يضمه الله إليه في رفق ، فلما أن تبينت أن النهاية قد جاءت بهذه السرعة اعتبرت ذلك كرامة تضم إلى كرامات الرجل التي امتلأت بها حياته ، وعناية من الله الذي كان يردد في الآونة الأخيرة أنه يعيش في ظله ومعه .

لقد ذهب عزيز المصري ولم تغشاه غيبوبة الموت إلا أربعاً وعشرين ساعة ، أما قبل ذلك فقد ظل كما كان يجب أن يكون ، وكما اتخذ منه شعاراً . فرضه على مدرسة البوليس عندما كان مديراً لها ، وهو طائر الضقر ... أجل ظل عزيز المصري حتى آخر

يوم من حياته صقراً جائئاً يرتاد بعينه الثاقبتين الجو من حوله ،
 حقاً إن الصقر كان مقصوص الجناح ، ولكنه ظل جائئاً بكل
 حيويته وطاقته الكامنة بين فروع الشجر ، يخلق ببصره الحد
 في كل ما يحيط به ... في السماء ، في الأرض ، في الله والناس ، حتى
 إذا حم القضاء وغشيت العينين الغواشي ، فلم يعودا ترتادان
 وتحلقان هنا وهناك ... كانت النهاية السريعة ، حتى لا يعيش
 عزيز المصري في الظلام ، وهو الذي عاش أبداً في النور ...
 نور الحق ، واليقين ، والجهاد في سبيل الخير والناس أجمعين .

وعلى ذكر الصقر وعينه النافذتين ، فما زلت أذكر كيف
 أذهلني عزيز المصري في إحدى زيارتي الأخيرة له ، عندما
 سألته إذا كان يطالع الصحف ، فإذا به يمينني على الفور : طبعاً
 فحاولت أن أمتحنه لكي اطمئن حقاً لمطالعة الصحف وأفرح
 لذلك ، فعرضت عليه جريدة الأهرام وطلبت منه مطالعة
 العناوين الكبيرة ، فإذا به يمسك الجريدة ويقلبها ثم يطالع
 المنشور فيها نحت عنوان « حظك اليوم » وهو القسم الذي
 يكتب بأدق حروف في الجريدة ، ولم أستطع بطبيعة الحال
 أن أتابع هذا الذي قرأ إلا بعد أن لبست نظارتي ... فإذا ما
 طالعه بعينه المجردتين في منتهى الدقة ... ولك أن تتصور
 مقدار ذهولي من هذه المفاجأة فرحت أردد ... الله أكبر ...
 الله أكبر ... سبحان الله .

زيارة اسبوعية

وكان آخر عهدي بميزن المصري هو يوم الاربعاء السابق على يوم جنازته ، حيث شهدت آخر ومضة من ومضات عزيمته وقوة إرادته ، فقد أبى إلا أن ينزل عن الفراش وأن يجلس على المقعد تجاهنا ، ويشفق عليه من عواقب ذلك رفيقه الأمين اللواء سعيد الألفي الذي كان ينوب عن مصر كلها في الاشراف على حياته في هذه المرحلة ويعترض ، ولكنني أقف إلى جوار عزيز المصري في أن يحقق إرادته ، ويقاوم المرض والضعف وملازمة الفراش ، بل وأبدت استعدادي إذا رغب في أن آخذ نأري منه في لعب الطاولة ، فقد كان هزمي في الاسبوع السابق ، ويومئذ برأسه موافقاً وقد لمعت عيناه بروح النضال .

حتى إذا جلس حيث أراد ، بعيداً عن سرير المرض ، وأحس بنشوة الانتصار راح ينشدنا ما اعتاد أن ينشدنا إياه من معلقة امرئ القيس ، كآخر ما بقي في ذاكرته من حصيلة تسعين سنة عاشها نهماً إلى المعرفة ، دؤوباً على القراءة والمطالعة ، ذواقاً لكل فنون الأدب والشعر والجمال . ويروح يترنم بالأبيات الستة ، وببمايل طرباً مع كل بيت وكل حرف من حروفها ، ولا يفتأ يشرح لنا في كل مرة معنى المقصود بكل بيت ويشخص معانيه بيديه وذراعه ورأسه ، وتشيع البهجة في نفسه ، بحيث أصبح تكرارها هو مقياس اطمئناني لصحته ومزاجه ، فإذا سكنت

عنها في مرة من المرات أبادر فأسأله أن يسمعنا إياها ، فيتأجج
بالنشاط والحيوية ويروح يردد الأبيات الخالدة :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وثناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصبح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه بأمراس كفان إلى صم جندل
وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وأحمد الله أن وفق المقدم عبدالله صادق بتسجيل هذه
الأبيات بصوت عزيز المصري لتحفظ للتاريخ هذه الناحية من
حياته واعتدت أن أقول له كلما أسمعني هذه الأبيات :

- كأن هذه هي ذروة الشعر العربي .

- بلا شك .

فأتابع سؤاله مكرراً ما سبق أن قاله لي من قبل :
فكان هؤلاء العرب في الجاهلية كانوا ذوي فهم وإدراك
وإحساس بالجمال

فبادر قائلاً وقد لمعت عيناه :

- بلا شك .

وأطمئن إذ تتبادل هذا الحديث أن عزيز المصري لا يزال يستمتع بالترف الذهني الذي عاش فيه طول حياته ، فقد كان لكثرة ما قرأ وطالع يعيش في ترف ذهني .

الوداع الأخير

وكانت هذه الأبيات هي آخر ما سمعتها منه بعد أن ترك الفراش وجاهد ليجلس على المقعد وأحسنست أنه قد يكون في حاجة إلى الوحدة فقلت له :

— سنتركك يا باشا للترتاح .

— أجل أنا محتاج بالفعل للراحة ، ولتقني أنكم أولادي ، فلا حرج علي أن أقول ذلك .

وقبلته . وعانقته كما اعتدت أن أفعل وخرجت وأنا أدعو الله ، أن لا يجعله يذوي أكثر من ذلك .

وجاش في نفسي بعد أن علمت بنبا الوفاة ، أن لا أذهب إلى البيت فلست أعرف لماذا تصورت أنه سيكون مزدحماً بالذين سيمضون إلى البيت عند سماع النبأ ، ولم يقو عزمي للذهاب إلا مصاحبة أخي إبراهيم شكري ، وكان البيت على خلاف ما أتوقع ، يغشاها الهدوء كما هو الشأن في حياة عزيز المصري ، وكان هناك هذا النفر الأمين الذي اعتدت أن أراه ، اللواء سعيد الألفي والمقدم عبدالله صادق وكان هناك صديقه الطبيب اللواء أحمد الناقه

الذي ذهب لزيارته فقابله الخبر ... كما كان هناك المهندس كمال منسى وبعض رجال الراحل !

وكان أخشى ما أخشاه أن تكون « ست زينب » مديرة بيته وحارسة حياته في ثلثها الأخير والتي ترهبت في خدمته ، وكرست حياتها لتمريره ، قد انهارت أعصابها ، وأفلت زمامها ولكفي وجدتها جديرة بالموقف العظيم ، وجدتها ثابتة الجنان هادئة النفس ، ان مصيبتها ب وفاة الرجل عظيمة ، كأعظم ما تكون المصيبة فقد كانت وهي ابنة الشعب البسيطة تعيش في كنفه موضع ثقته واعتزازه ، محاطة بالكرامة والاحترام اللذين يضيفهما عليها خدمتها للرجل العظيم .

وكان آخر حركة للرجل في الدنيا على ما حدثني عبدالله صادق الذي كان شاهداً لها إن عزيز المصري بعد أن تناول آخر عشاء له في هذه الدنيا ، وكأنه أحس بأنه مفارقها بعد قليل همّ بتقبيل يد زينب كعلامة على شكره لها ، ففزعت واستغفرت الله ، وانهارت تقبل يد الرجل وتقول :

— أنت رب نعمتي وصاحب الفضل عليّ ، في ظلك عرفت الكرامة والاحترام ، وقابلت أعظم الرجال ، مما يجعلني أفخر على الكثيرين والكثيرات ، فأنت رب نعمتي ، وأنا مدينة لك بكل شيء .. مدينة لك بحياتي .

وابتسم الرجل ابتسامة واهنة وأغمض عينيه وبدأ رحلته الأخيرة نحو الأبدية ... فراح في غيبوبة نهايته .

فكنت أتصور هذا شأن زينب ، وقد انهد ركنها بوفاة
عزیز المصري ، أن أراها منهاراً ، ولكني وجدتها حيث أحب
لها أن تكون ، وجدتها هادئة صابرة راضية بقضاء الله ، وهكذا
تمثلت في هذه المرأة فضائل شعبنا ، واعتبرتها رمزاً لهذا الشعب .
ودخلت إلى حجرة عزیز المصري أودعه الوداع الأخير ،
فكان المنظر المألوف في مثل هذه الحالات جسد مسجى فوق
الفرش ومغطى بلاءة بيضاء ورفعت الملاءة عن وجه الرجل
ولم تكن برائن الموت قد نالت منه ، ولولا امتقاع خفيف لما
كان هناك شيء غير عادي ، ولكني عندما انحنيت على الجبهة
الشماء الذي كان آخر عهدي بها حارة متوقدة ، أحسست
ببرودتها تحت شفتي وأنا أقبلها .

ووجدتني أقول لعزیز المصري . عما قريب سنلحق بك . .
أنتم السابقون ونحن اللاحقون .

أسابيع عزیز المصري الأخيرة

وخرجت من البيت واشتدت بي أعراض برد ألم بظهري فلم
أستطع السير في جنازته ، فضلاً عن الذهاب معه إلى مستقره
الأخير ، وهكذا ستظل آخر صورة لعزیز المصري في رأسي
هي هذه الصورة التي اعتدتها في هذه الأسابيع الأخيرة ، عندما
كان يأبى كلما ذهبت إليه يوم الاربعاء من كل اسبوع ، إلا أن
يستقبلني في الصالون ، وأن يحمل إليه حملاً بعد أن أصبحت

ساقاه عاجزتين عن حملته ، ولا يكاد يستوي على مقعده ، ويرتاح من الجهد الذي بذل حتى يقبل ، فأرى أمامي عزيز المصري كما اعتدت أن أراه منذ ثلاثين سنة صاحب الشخصية القوية الغلبة والوجه المشرق بالجلال والبهاء .

ويتحدث عزيز المصري عن ذكرياته ، ذكريات صباه وشبابه ، ولم يكن باستطاعته أن يفعل غير ذلك والحياة توشك أن تنصرم ، ولم تبق له الأيام إلا الذكريات .

لقد ظل إلى بضعة شهور سابقة على وفاته ، يتنزه من حين لآخر في سيارته ، ويتردد على النادي المواجه لبيته (نادي الجزيرة) حيث يذهل من يلتفون حوله ، بما بقي لديه من آثار القوة والحياة . وفي إحدى المرات أذهل رواد نادي الصيد عندما يصيب الهدف وهو جالس بطريقة معجزة بالنسبة لسنة وظروفه .

ولكنني عندما بدأت أزوره ، كان هذا العهد قد انتهى ، وكف عن الخروج والتنزه ، وما أكثر ما حاولنا أن نستحثه على الخروج ، فكان يعد ، حتى إذا جاء أو ان التفتيد زهد ، وهكذا قضي على الأسد أن يمضي الشهور الأخيرة حبيس بيته ، وقضي على الصقر أن تقص أجنحته فلم يبق لديه إلا دنيا الذكريات ، ذكريات الصبا والشباب . والعجيب أن ذاكرة عزيز المصري ووعيه كادا أن يفقدان نهائياً في هذه الأسابيع الأخيرة ، فلا يكاد يعرف من قابل بالأمس ، وربما نظر إلى بعض من يترددون

عليه وسأله عن اسمه ، أما عندما يرجع إلى الماضي البعيد ذكريات الصبا والشباب فهنا تنحل العقدة ، وتنشط الذاكرة وتبعث ، وينطلق اللسان كما اعتاد أن ينطلق هنا وتنبسط نفسه ويلوح الانشراح على محياه ، ولذلك فقد كنا نستزيده من هذه الذكريات بالرغم من أننا أصبحنا نحفظها عن ظهر قلب لكثرة ما كررها ومعناها من قبل ، ولكنه حديثه عنها أصبح هو سلوتنا الوحيدة للاطمئنان عليه .

والد عزيز المصري والفلاحين

ويحدثنا عن أبيه الشرطي الذي مات وهو بعد صغير ، وكيف كان طويلاً يصل إلى قمة الباب ويشير لنا في كل مرة على الباب ويرنو ببصره إلى القمة ، وليس بعجب أن يذكر عن سيرة أبيه إلا حادثة واحدة ؛ عندما زجر ناظر عزبته ، لأنه لم يحضر للفلاحين كرامى ليجلسوا عليها ، وعندما تهيب الفلاحون أنفسهم الجلوس على الكرامى في حضرته ، راح يلقي عليهم درساً في الكرامة الإنسانية وأنهم وهو سواء بسواء .

ويمضي عزيز في سرد ذكرياته : كان والدي يأخذني معه إلى مزرعتنا الصغيرة في دمنهور ، وكان يقول لي تعلم دائماً يا عزيز أن تحب الفلاحين وتكرمهم ، إنهم سر نعمة هذه البلاد .

عزيز المصري ويحيى حميد الدين

ولقد طالعنا في كتب التاريخ الحديث ، دور عزيز المصري

في اليمن ، وكيف نجح في إحلال السلام في اليمن بين الجيوش العثمانية والقبائل اليمنية بعد أن ظلت مشكلة مستعصية على الحل عشرات السنين ، ولكن هذا التاريخ الطويل الذي طالما سمعناه منه من قبل قد تلخص وتركز في صورة واحدة هي التي بقيت عالقة بذاكرته .. صورته عندما ذهب لأول مرة ليقابل يحيى حميد الدين إمام اليمن في ذلك الوقت ، وكان من عادة الضباط الأتراك المتغطرسين إذا ذهبوا لمقابلته ، أن يبطأوا بأحذيتهم السجاجيد التي يجلس عليها ، أما عزيز المصري ، فقد خلع حذاءه قبل أن يدخل ويطأ السجاجيد ، فما كان من يحيى حميد الدين إلا أن خف لاستقباله ومعاينته هاتفاً في أتباعه أن عزيز المصري ابنه .

الوميض المتقطع

وكان وعي عزيز المصري في هذه الفترة الأخيرة من حياته ، يشبه مصباحاً كهربائياً انقطعت الاسلاك الموصلة إليه ، ولكنها ظلت متصلة تومض حيناً وتعم حيناً آخر ، فبينما تراه نفاذ الفكر يحيط بالماضي والحاضر ويتحدث عن المستقبل ، ويضحك على النكتة ، ويلعب النرد ، ويتحرى عن بعض الأشخاص ، إذا به فجأة وعلى غير انتظار قد فارقه الوعي ، وانقطع عن الحاضر الذي يعيش فيه ، ولا يبقى أمامه إلا أن يعود إلى البحر الذي لا ينفد ، بحر الذكريات فيغترف منه . كيف تشاجر في إحدى المرات وهو لا يزال طالباً في كلية الحرب باستنبول ، مع عصمت اينونو

رئيس جمهورية تركيا بعد ذلك، وكيف ضربه لكمة في أنفه فسال منها الدم، فصاح فيه عزيز بالتركية أن يذهب إلى الحنفيات ليغسل وجهه . ويكرر عزيز المصري الألفاظ التركية كما نطق بها منذ ستين سنة ، ويمضي في استعادة صور هذا الموقف بعد أن دخل إلى الفصل ، وعصمت يشير إليه محرراً يديه في عتاب .

وحدث أن قلت له عقب موت فاروق :

— لقد مات فاروق .

فرد علي قائلاً :

— ولقد مات حسنين كذلك .

ويحركه حديث الموت فيشير على صورة رجل بالقرب منه

ويقول :

— وهذا الرجل أيضاً مات ... ولكنه رجل طيب .

ويبهجني ثناؤه على هذا الرجل الطيب ، فقد قدر لي أن أعرفه في أحلك اللحظات وأن ألمس عميق إخلاصه وشجاعته والرجل الذي يعنيه عزيز المصري هو أحمد حلمي باشا ، رئيس حكومة فلسطين ، وتجرحه صورة أحمد حلمي باشا إلى بقية الصور التي تحيط به ، فيروح يشرح لنا كل واحدة منها فهذه صورة ابنه عمر وهو يحمل بين يديه حفيد عزيز المصري ، وهذه صورة زوجته ، لقد جاء إلى مصر وزاراه ، وهذه صورتها إلى جواره ، أما هذه فصورة عمر بعد أن ربي شاربه فأصبح كئيباً غليظاً ويضحك عزيز المصري ويقول إنها المودة ، في أمريكا ، ولست

أظن إلا أن ابنه قال له ذلك ليفسر هذا الشذوذ ، الذي لا تفسير له عندي إلا أن روح الأجداد القوقازيين قد غلبت على عمر عزيز المصري بالرغم من أنه يتعلم في إحدى الجامعات الأمريكية ، فجعلته ينمي شاربته بهذه الغزارة غير الطبيعية وتلمع عيناه عزيز المصري ، ويحدق طويلاً أمام إحدى الصور ، ويأبى في كل مرة إلا أن تحمل إليه ويروح يشرح لنا محتوياتها .

إنها صورة جماعية ، حيث يؤلف عزيز المصري واسطة العقد فيها ، وهو في شرح الشباب ، والنفر الذي يحيط به من الضباط الأتراك ، وقد ارتدوا جميعاً ملابس البلغار ليكونوا أقدر على التخفي والاقتراب منهم ومحاربتهم^(١) .

جدود عزيز المصري الأقدمون

وتبتعت الصور والذكريات من مراقدها ، وما بين مئات الذكريات المتناثرة ، فقد استولت ثلاث صور منها مكان الصدارة فكانت تلح عليه أبداً ، ولا تفتأ تعاوده فيكررها في الجلسة الواحدة أكثر من مرة .

فأما أولى هذه الصور فلم تكن من تجاربه الشخصية ، وإنما رويت له ونقلت إليه ، ومن هنا فقد كانت تجيء دائماً مهزوزة

(١) كانت بلغاريا حتى سنة ١٩٠٩ إمارة تحت حماية الدولة العلية العثمانية منذ قرون ، وكانت العصابات البلغارية تقلق الأمن أحياناً .

مختلطة ، وتدور هذه الصورة حول جدوده الأقدمين والعائلة
الشركسية التي انحدر منها والتي كانت تنتمي إلى قبيلة مشهورة
في القوقاز تسمى «شاه بلو» أي الله يضيء وقد قاد أحد أجداده
(وأحياناً عمه) هذه القبيلة في حرب ناجحة ضد القيصرية حتى
استطاع أن يهزم جيوشهم وأن يطاردهم حتى لحق بهم في
بطرسبرج (لنيجراد حالياً) وفي بطرسبرج عقد القيصر الصلح
مع هذا الجد (أو هو العم) وقرر أن يخطب وده فبعث إليه
بولي العهد زائراً . ومبرماً وإياه عقداً من الصداقة فيما كانت من
جد عزيز المصري إلا أن أعلن قبوله لهذه الصداقة شريطة أن
ينظف الروس أنفسهم ، فهم لا يتطهرون عقب قضائهم الحاجة ،
وراح يعلم ولي العهد قواعد (الاستنجاء) كما يمارسها المسلمون .

وتقف القصة عند هذا القدر ويضحك ونضحك ، باعتبارها
نكتة اثم يتحدث عن هجرة هذه القبيلة إلى الاناضول وزواج
بعض أفرادها من بنات السلطان وتزوج السلطان واحدة منهم ..
ولكنها لا تلبث أن تضطرب ويشوبها الغموض لأنها كما قلت بما
رويت له وليست من تجاربه ، وقد كان مولده في مصر وحبه
الشديد لها قد طمس معالم هذا التاريخ في نفسه ، ولذلك فلم
أستطع تتبع هذه القصة بأكثر مما رويت لك .

حبه العنري لمترو

أما القصة الثانية التي سمعتها منه منذ السنوات الأولى لمعرفتي

به وظلت عالقة بذكريته حتى اللحظة الأخيرة ، ولخص فيها كل تاريخ مغامرته في بلاد البلغار ، فهي قصة غرامه العذري بفتاة من بلغاريا باسلة تدعو مترو ، وكانت الدولة العثمانية قد عهدت إليه بالقضاء على ثورة البلغار في بعض المناطق ، فنجح في مهمته نجاحاً منقطع النظير ، وأحبه البلغار وأحبهم ، وكان سبيله إلى كسب قلوبهم ، هو ما تميز به عن كل من سبقه من الضباط الأتراك ، حيث عف عن نساء البلغار ، فلم يعتد على أي منهن ، بل لم يمارس الغرام مع أي امرأة بلغارية من أي نوع كان . وكان إذا ضاق به الأمر (على حد قوله) ذهب الى مدينة سلانيك اليونانية^(١) ، ليمارس الغرام بعيداً عن مقر عمله ، فكان لهذه الاستقامة والعفة غير المألوفة ، أثرها في نفوس البلغاريين ، كما استطاع أن يحصل على احترامهم من خلال جسارته ، فقد كانوا يفاجأون به وهم مدججون بالسلاح يقف بمفرده في وسطهم . حتى لقد بلغ من إعجابهم به إلى حد أن عرضوا عليه الزواج بابنة أحد امراءهم السابقين والمنادة به ملكاً على البلغار . هذه الحياة المثيرة والحافلة بالمغامرات والوقائع ، قد تلخصت كلها وتركزت في صورة واحدة ، ظلت تلح عليه ولا يفتأ يكررها . ويكررها .

(١) عندما كانت أبامها ولاية عثمانية، ولكنها سقطت بيد الجيش اليوناني سنة ١٩١٢ عندما باغتت جيوش الدول البلقانية المتحدة دولة آل عثمان في مكيدونيا ، واستولت عليها كلها .

فقد احتاجه الشوق ذات يوم لرؤية مترو هذه الفتاة البلغارية التي أسرت لبه بحالها النادر وشجاعتها غير المعقولة ، وإذ كان يعلم أنها تسكن في قرية فوق قمة الجبل ، فقد راح يصعد إلى هذا الجبل بمفرده حتى وصل إلى بيت أبيها ، الذي كان يجلس في ذلك الوقت الى جوار النار ، ولم تكده عينا الرجل تقع على عزيز المصري حتى هبّ مذعوراً من جلسته ووقف يحملق في هذا القادم ، فما كان من عزيز إلا أن أقعد الرجل كما كان إلى جوار النار وطلب منه أن يطمئن ولا يخاف شيئاً.

فقال له الرجل :

— أنا أعرف لماذا جئت ، إنك جئت من أجل مترو ، ومترو ليست هنا ، لقد ذهبت لتزور صويحباتها . وبينما كنا يتجاذبان الكلام إذ جاءت مترو .

وتنقطع الصورة وتهتز في ختامها ، بل قد تهتز في بدايتها ، ولكن هذا القسم الخاص بنهوض والد مترو وفزعه من عزيز المصري وإعادته من جديد إلى الجلوس إلى جوار النار وقوله لعزيز المصري أنه يعرف لماذا جاء ... الخ ما ذكرت . هذا القسم يظل عزيز المصري يكرره ويكرره في غير اضطراب وفي دقة عجيبة ، ويضيف عزيز المصري في كثير من الأحيان ، أنه لم يمس مترو . وأنها تعلقت به من أجل ذلك ، حتى وصل الأمر ببعض مواطنيها إلى قتلها .

وتدمع عينا عزيز ويقول :

— فليرحمها الله .

وأقول :

— آمين .

وهكذا يؤكد عزيز المصري قول الشاعر : ما الحب إلا
للحبيب الأول ، فما أكثر ما امتد العمر بعزيز المصري بعد أيام
البلغار ، وما أكثر ما عرف من جيلات ، وما عرضت عليه من
زوجات . ثم اختار حبيبة قلبه الامريكية وتزوجها بالفعل ،
ولكنه وهو في أيامه الاخيرة كان يعود دائماً بذاكرته إلى مترو
إلى حبه العذري ، إلى قوله أبيها : أنا أعرف انك تريد أن ترى
مترو ، لقد ذهبت مترو لصويحباتها ... ثم تجيء مترو وتقطع
الصورة لتبدأ من جديد .

ملك العراق

وعلى ذكر عرض بعض البلغاريين عليه أن يكون ملكاً ،
فقد تكرر هذا العرض على عزيز المصري اكثر من مرة في أكثر
من بلد .

فقد حدث أن استدعاه ياسين الهاشمي بعد أن أصبح رئيساً
لوزراء العراق ، وكان يعتبر نفسه تلميذاً لعزيز المصري ويحمل
له أقصى الحب والولاء منذ أسس عزيز جمعية العهد والجمعية
القحطانية باستنبول التي تدعو إلى توحيد العرب وإعادة مجددم القديم .
ولبي عزيز المصري دعوة زميله القديم في السلاح وسافر إلى

بغداد ، ولكنه قبل أن يستقر به المقام طلب من ياسين الهاشمي أن يساعده على زيارة إيران فهو شديد الشوق لزيارة معالمها والوقوف على آثارها ، فما كان من ياسين الهاشمي إلا أن صرخ في وجه عزيز قائلاً :

— ما هذا يا رجل ؟! أشد عليك هنا الى بغداد لأجعل منك ملكاً وأنت تفكر في زيارة إيران . وتقف قصة عزيز المصري عند هذا القدر^(١) .

رؤية عزيز في شبابه المبكر لسيدنا محمد

على أن الصورة التي كانت تعلو بقية الصور في ذاكرته ، والتي لم يكن يمل من تكرارها ، بل لا يكاد يفرغ منها حتى يعود لسردها ، هي رؤيته لسيدنا محمد في المنام ، وكان ذلك في شبابه المبكر عقب تخرجه من كلية أركان الحرب .

ولقد سمعت منه هذه القصة عند بدء تعارفنا عليه ، ولكنها لم تترك في نفسي كبير أثر ، فقد كان يرويها فيما يروي من عديد الحوادث والذكريات ... أما في هذه الفترة الاخيرة ، فقد كان

(١) لقد فطن المندوب السامي البريطاني في العراق - هنري دويس - إلى خطورة وجود عزيز المصري في العراق ، فدعاه لتناول الشاي عنده وسأله قائلاً : لماذا جئت لبغداد ؟ فأجابه عزيز بعنف : هذه بلادتي ، ولكن لماذا أنت هنا في العراق ؟ ثم تشاجرا وعاد عزيز إلى مصر .

حديثه عن هذه الرؤيا يزلزل نفسه زلزالاً في كل مرة يقصها ،
وأشهد أنه كان يقص الرؤيا كما لو كان شريطاً مسجلاً ، لا حرف
زيادة أو نقص ، حتى الحركات والاياءات التي تصاحب القصة
لا تتغير أو تتبدل .

وتبدأ الرؤيا خلال نومه عقب تخرجه من كلية اركان الحرب
في استنبول ، فرأى فيما يرى النائم أنه يقصد محلاً مشهوراً في صنع
الجيلاتي (الداندورما) وهو يقع قريب مسجد أيا صوفيا ، وبينما
كان يحاول اجتياز الطريق ، إذ شاهد على الرصيف المقابل خمسة
نقر يحيط أربعة منهم بخامس يمثل البهاء الانساني والكمال
البشري ، وهتف هاتف محمد واصحابه جاؤا يحيون عزيز المصري .
ويذهل عزيز المصري ويرتج عليه ، فينظر إلى السماء مستغيثاً
بالله ويصرخ قائلاً مخاطباً الله :

– هذا كثير عليّ .. كثير عليّ ، والآن قل لي ماذا أفعل ..
كيف أتصرف .. أأقبل يديه أم أقبل قدميه .. أم أقبل الارض
تحت نعليه .. هذا كثير عليّ .. كثير عليّ .

ويهباً له كما يهباً للنائم أن الله يضحك منه ، ويقول هذا هو
عزيز المجنون وتقف الرؤيا عند هذا الحد ، بينما يمضي عزيز
المصري في حديثه عن سيدنا محمد أنه أكمل إنسان في الوجود
وأعظم من عرفت البشرية إنه الجمال والبهاء .

ثم يردد الحديث الشريف : « من رآني في النوم فقد رآني

حقاً ، ، ومن ذلك إلى أن بوصينا بالتمسك بجبل الله المتين ، وأنه
لن يكون للفرد أو الجماعة نجاح ، إلا في الإيمان بالله الواحد
الأحد ومحمد رسولاً ، وبالقرآن نبراساً ومنهاجاً .

ويضي عزيز المصري وقد تهدج صوته قائلاً :

- يجب أن يتحاب الناس ويتعاونوا ، يجب أن ينزعوا من
قلوبهم الغل والحقد والحسد والغيرة والافانية . يجب أن يتحابوا ،
يجب أن يتحابوا ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال الإيمان .

هذه كلمات عزيز المصري وتلك وصيته فسلام عليه في
الحالدين ، سلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .



من أعلام العروبة محمد علي الطاهر

نشرت في جريدة الأيام الدمشقية ٢٨ أبريل - نيسان سنة ١٩٥٥

وصل من مصر الأستاذ محمد علي الطاهر إلى دمشق منذ بضعة أيام، ومنذ وصوله فندق سميراميس حيث نزل وهو مقصد العظماء والكبراء وقادة الأمة ومفكرها . وقد رأينا في زيارته رؤساء وزراء سابقين وحاليين ، ورؤساء مجالس نواب ورؤساء عشائر ونواب وكتاب وصحفيين ومحامين والكل يتسابقون للحفاوة به والترحيب بمقدمه .

ولو حل على بغداد ضيفاً لاستقبل بمثل هذا الاستقبال أو بما هو أروع كما حدث منذ عامين .. ولو أنه نزل ضيفاً يحاكرنا عاصمة اندونيسيا فقد يستقبل استقبالا رسمياً ، لأنه ساعد سوكلارنو رئيس الجمهورية عندما كان لا يزال طالباً ، وساعد كثيرين من وزراء وسفراء اندونيسيا ورجالاتها، كان الطاهر ولي

أمرهم عندما كانوا طلاباً في مصر ، فليس يدهشنا إذا سمعنا عن استقبال رسمي له في جاكارتا .

وأما مكتبه في مصر ، أو قل ندوته ، فهي صورة مستمرة ومتكررة لما يلقاه في أية عاصمة عربية يحل بها.. سفراء ووزراء مفوضون ، ورؤساء وزارات وامراء ، وكتّاب ومحامون وصحفيون من سائر أنحاء العالم العربي.. الجميع يروحون ويغدون ويلتقون في ندوة الشورى . ندوة محمد علي الطاهر بالقاهرة ، ومحمد علي الطاهر بعد ذلك ليس وزيراً ، ولا صاحب منصب ، وليس هو صاحب لقب أو جاه زائف مما تواضع الناس على تسميته بالجاه، وإذا كان يصدر الشورى في التقديم فقد عطلتها الحكومات ولم تسمح بعودتها.. فبأي سر استطاع محمد علي الطاهر ، أن يكون هذا المحور لكل هذا التقدير ، والاحترام الذي يشعره بمكانته ؟

يقول البعض من أعداء الرجل الذين هاجمهم في يوم من الأيام لانحرافهم ، إن الكبراء والقادة يقبلون عليه ويزورون داره خوفاً منه ، أو تقاة ، ولو صح هذا فإنه يضاعف في قدر الرجل إلى أبعد الحدود ، فأبي سلطان هذا الذي يملكه محمد علي الطاهر ويجعل كبراء الأمة العربية يتهافتون على مرضاته ؟ وإذا جاز هذا في الماضي حيث كان يصدر جريدة الشورى ، فكيف يجوز اليوم وهو لا يملك جريدة مهاجم فيها من يشاء .. الحق ان محاولة تفسير الحفاوة المنقطعة النظير التي يلقاها محمد علي الطاهر

بالخوف منه ، لا تنقص من قدر محمد علي الطاهر وإنما ترفع
من شأنه ..

وإنما التفسير الصحيح لما وصل إليه محمد علي الطاهر من مكانة
مرموقة في العالم العربي والإسلامي ، يرجع في اعتقادي إلى الصفة
الباهرة التي يتحلّى بها ، والتي تعتبر مفتاح شخصيته التي تتفرع
منها صفاته الأخرى ، ألا وهي صفة الاستقامة .. محمد علي
الطاهر مستقيم في تكوينه المادي والروحي استقامة الرمح .
ومن هنا كان نسيج وحده بين الرجال في مثل هذا السن التي وصل
إليها وقد اقترب من الستين . إن طبيعة بنيتنا في الشرق العربي
تميل إلى الترهل في وقت مبكر ، وما أسرع ما تبرز لنا
(الكروش) وتكتنز أجسادنا بالشحم ، بل ما أسرع ما مهاجمنا
الخنول ، ولكن محمد علي الطاهر قد شذ على هذه القاعدة ،
فالإنسان لا يراه إلا مسرعاً في مشيته حتى لكأنه يعدو ،
والإنسان لا يراه إلا منتصب القامة مرفوع الرأس ، مرهف السمع
والحس والبصر ، في حالة يقظة مستمرة ، فكأنه حزمة أسلاك
كهربائية من هذه الحزم التي تتألف منها الأجهزة الحديثة والتي
تبلغ من الحساسية درجة تفوق التصور الإنساني ..

ويحمل محمد علي الطاهر (عصا) أشبه الأشياء بجسده ، فهي
رفيعة متينة ، إذا أمسكتها بيدك راعتك فيها استقامتها أكثر
من أي صفة أخرى ..

هذه الاستقامة في تكوين محمد علي الطاهر الجسماني ، هي ذاتها الاستقامة التي تؤلف جوهره الروحي ، وهي التي أوصلته إلى هذه المكانة المرموقة التي يغبطه عليها عشرات ممن تسنموا أعلى المراكز فكانوا أصحاب دولة وقخامة .

بدأ محمد علي الطاهر حياته حرباً على الاستعمار في جميع صوره وأشكاله . لقد نشأ فلسطينياً فكان حربياً به أن يكره الاستعمار الانجليزي ، وأن يسعى وهو يحاربه إلى خطب ود دولة أخرى من الدول كما يفعل الكثيرون ممن يصفون أنفسهم بالكياسة والدهاء . ولكن محمد علي آمن منذ عصر مبكر ، بأن الاستعمار وحدة واحدة لا تتجزأ ، ولذلك فقد هاجمه في كل صورة وأشكاله . هاجمه في مصر وعدن وفلسطين والعراق ضد الانجليز ، وهاجمه في سورية وشمال افريقيا ضد الفرنسيين ، وهاجمه في ليبيا ضد الطليان ، وهاجمه في اندونيسيا ضد هولندا ، وهاجمه وتعقبه في كل مكان ، ولم يرحم أي مواطن عربي حاول أن يهادن الاستعمار في إحدى صوره وأشكاله ، لم يعترف في أي يوم من الأيام بأنه في سبيل حرب فرنساً لا بأس من التقرب إلى انجلترا .. وفي سبيل حرب المجلثرا لا بأس من التعاون مع الطليان .. لم يقبل محمد علي الطاهر هذه النظرية ، ولما كان كثير من ساسة العرب وقادتها وكتابها وصحفها قد اعتنقوا هذا المبدأ في فترة أو أخرى ، فقد هاجم محمد علي الطاهر الجميع وهاجمهم بعنف شديد ، غير ناظر إلى علاقات الصداقة التي تربطه بهم ، غير مقيم

وزناً لأنه مدحهم بالأمن وأسرف في مدحهم ، لقد انحرفوا وجنحوا نحو مهادنة المستعمر في احدى صورة فاستحقوا غضب الرجل الذي يعادي الاستعمار .

ودارت الأيام . وأحس كل سيامي ، أنه كان مخطئاً في تقديره ، وان الحقيقة أن الاستعمار وحدة واحدة ، وانه لا يجدي معه سوى الصلابة والتطرف . صلابة محمد علي الطاهر وقطره الذي كانوا يجدونه دائماً حيث تركوه .. سيفاً مسلطاً على كل انحراف أو تردد أو ضعف .

أربعون سنة اشتغلها محمد علي الطاهر بالقضايا العربية ، فهل يستطيع إنسان واحد أن يقول انه وضع قلمه في يوم من الأيام في خدمة حاكم أو مستعمر في طول الأرض وعرضها ؟ هل يجرأ إنسان واحد من يحاولون التشكيك في شخصية محمد علي الطاهر وأهميتها في العالم العربي أن يأخذ عليه طوال هذه الأربعين سنة ، موقفاً واحداً ظاهر فيه الانحراف ، أو الظلم أو الكبت للحريات ، أو مالا فيه الحكام في خطأ ارتكبهوه فضلاً عن ممالاة المستعمر الأجنبي ؟

إن أحداً لا يجرأ ولم يجرأ أحد على إدعاء ذلك ، بل أقصى ما قيل في هجو محمد علي الطاهر هو أنه عادى الكثير من الناس . وحقاً لقد عادى محمد علي الطاهر كثيراً من الناس وما زال يعاديه ، ولكنه فعل ذلك وما يزال يفعله بالمنحرفين والمارقين والذين ضلوا طريق الاستقامة .. وقديماً قال القائل إن كلمة الحق لم

تبقى لي صديقاً ، فيكفي أن يكون الإنسان مستقيماً مجاهراً
 بالحق لكي يغضب العشرات والمئات من أصدقائه قبل خصومه ..
 ولو لم يكن محمد علي الطاهر نسيج وحده لملته صروف
 الزمان على التحول عن خطته في الحياة .. فهو لم يلق من
 استقامته سوى الأذى وضيق الحال والسجن والاعتقال والتشريد ..
 بينما كانت مباحج الدنيا كلها مبسوطة أمامه ، كما بسطت لمن هم
 أقل شأنًا منه لو أنه رضى أن يحني رأسه قليلاً ، وأن يكف
 عن استقامته ..

ولكن محمد علي الطاهر انتصر على نفسه أعظم انتصار يمكن
 للإنسان أن يدركه .. فلم يزد الاضطهاد ولم تزد الكوارث
 إلا صلابته على صلابته ، وإلا امعاناً في الاستقامة ، وليس أدل
 على انتصار محمد علي الطاهر أنه يقترب اليوم من الستين من عمره
 ومع ذلك لم يصبح وزيراً ، ولم يصبح صاحب جريدة ولا يملك
 ضيعة أو عمارة أو أسهماً في بنك من البنوك أو شركة ، ولم يحصل
 على لقب من الألقاب .. أنه كان منذ أربعين سنة محمد علي الطاهر
 المجاهد المستور الحال والذي هو بالليل والنهار حرب على
 الاستعمار وأعوان الاستعمار في كل صورة وأشكاله ، نظيف اليد
 طاهر الذيل ، عنوان على الاستقامة .. وهذا هو النصر الذي
 لم يحرزه في العالم العربي إلا أفراد قلائل .. وهذا هو سر ما يلقاه
 محمد علي الطاهر من احترام أصحاب المكانة واكبارهم في كل
 قطر عربي يحل به ..

بقيت هناك صفة تنبثق من صفة الاستقامة وهي نتيجة طبيعية لها ، ألا وهي الوفاء للمجاهدين في البلاد العربية والإسلامية . فمن تطوان حتى آخر بلد في ربوع جزيرة العرب وبلاد الرافدين .. ومن أواسط أوروبا حتى اندونيسيا في المشرق ، وحتى أحشاء الصين نجد للمجاهدين في شخص محمد علي الطاهر درعاً ونجدة وحماية .. ما من مجاهد إلا ويعرف محمد علي الطاهر ويقف إلى جواره ويشد أزره . وما من مجاهد إلا ويعرف محمد علي الطاهر لما قدمه له من عون على قدر طاعته .. وقد لا يكون من حقي أن اتحدث عما قدم محمد علي الطاهر للآخرين .. ولكنني أستطيع أن اتحدث عما قدمه لي أنا شخصياً فأشهد لقد وقف إلى جواربي منذ بدأت كفاحي في مصر منذ ربع قرن ، وعندما أخذ فاروق يتلايبي وأوشك أن يجرمني الحياة ، أقام محمد علي الطاهر الدنيا وأقعدها في العالم العربي ، وجهز المحامين من العراق ولبنان وسوريا ليدافعوا عني ، فكان لذلك أثره في تنبيه الرأي العام ...

وبعد فإن محمد علي الطاهر جدير بما يلقيه من إكبار وتكريم رجالات العرب وزعمائهم ، وإني لأعرف الناس بما يبدو أحياناً في تصرفات محمد علي الطاهر أو أقواله من عنف وخشونة ، فمثله في ذلك مثل القطعة الموسيقية التي تصور الطبيعة ، بما فيها من عنف وصخب وحرارة ولهب ، وما فيها من لين ودعة وجمال وحب ، فلا تكاد المعزوفة الموسيقية تنتهي حتى

يحس الإنسان أنه كان يعيش مع القطعة نفسها ، وقد امتلأت
نفسه بالنشوة الروحية ..

وكذلك محمد علي الطاهر ، من أراد أن يدرك شخصيته
لا ينبغي أن يقف أمام جزئية من الجزئيات .. أو حادثة من
الحوادث .. وإنما ينبغي عليه أن ينظر إلى هذه الشخصية التي
تكاملت خلال الأعوام الأربعين الأخيرة لتؤلف رمزاً على
الاستقامة والإنسانية الكاملة ..

وقد بقي أن يعرف من لم يكن يعرف أنني ما كتبت هذه
المقالة لكي تكون مجرد مدح أو ثناء على محمد علي الطاهر ،
ولكن لتكون درساً للشباب في كل العالم العربي .. وهو أن
العظمة الحقيقية لا تقاس بالأموال أو المناصب أو الألقاب
الرفيعة .. وإنما بالاستقامة وما يتفرع عنها من إخلاص ووفاء
و ثبات على المبادئ القوية ..

غزوة أحد كما يُصورها القرآن والدروس المستفادة منها

كثرت ترديد ذكر غزوة أحد في الآونة
الأخيرة للتأسي بها فيما جاق بالجيش
العربية من هزيمة « في ٥ يونيو - حزيران
١٩٦٨ » . على أن الوقوف عند حد
التأسي بما حدث في غزوة أحد من
هزيمة دون الاستفادة من باقي دروسها
الأخرى ، حري أن يضر بنا ولا يفيد
في إزالة آثار العدوان .

غزوة بدر

من العبث التحدث عن غزوة أحد استقلالاً عن غزوة بدر التي سبقتها بعام والتي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً ، حسم القضية نهائياً بين الشرك والإيمان لمصلحة هذا الأخير .

لم تكن معركة أحد ، سوى خطوة على الطريق الذي شقه المسلمون في غزوة بدر طريق الحق والتوحيد ، ولم يعد يضيرهم أن يتوقفوا خطوة ، أو يرجعوا خطوات ، فالحرب سجال وكر وفر ، وكان الأمر قد قضي ببدر وحسم . ولنعرض الآن لوقائع غزوة أحد .

غزوة احد

يقول ابن هشام كاتب سيرة النبي صلوات الله عليه :

« لما اصاب من اصاب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع المنهزمون إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بالقافلة ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن اصاب آباؤهم أو

أبناؤهم أو اخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، وكل من كانت له في غير قريش تجارة ، فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد قتل خياركم ، وقد وتركم ، فأعينونا بهذا المال على حربيه ، فلعلنا ندرّك منه ثأراً بمن أصاب منا ، فوافقت قريش على ذلك .

وفي موعد بدر من العام التالي ، خرجت قريش بجدها وجدها وحديدها وأحاييشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا بنسائهم حتى لا يفروا ويكون ذلك أمعن في القتال حتى النصر أو الموت .

وهكذا وصلوا يجمعهم حتى أصبحوا قرب المدينة .

خطة رسول الله الدفاعية

ووصل نبأ زحف المشركين على المدينة ؛ فرأى رسول الله في منامه رؤيا قصها على أصحابه :

« رأيت بقراً لي تذبح ورأيت في ذباب (نهاية) سيفي ثلماً ، فأما البقر فهي أناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل . »

يقول ابن إسحاق فقال رسول الله صلى عليه وسلم :

« فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوم حيث نزلوا فإنت

أَقْلُوا أَقَامُوا بَشَر مَكَانَ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوهَا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا ،
وَكَانَ عِبْدَ اللَّهِ بَنُ أَبِي بَنٍ سُلُوفٍ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ .

فَقَالَ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَكْرَمِ اللَّهِ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أَحَدَ ،
وَكَانَتْ قَدْ فَاتَتْهُمْ غَزْوَةُ بَدْرَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرِجْنَا إِلَى أَعْدَائِنَا حَتَّى لَا يَرَوْا أَنَّنا جَبِينَا
عَنْهُمْ أَوْ أَنَّنا ضَعْفْنَا .

وَلَمْ يَزَلْ هَذَا النَّفَرُ الَّذِينَ كَانُوا يُحِبُّونَ لِقَاءَ الْقَوْمِ يُحَاجِرُونَ
رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ رَأْسِهِمْ فَدَخَلَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَبَسَ لَأَمَتِهِ
(الدَّرْعَ) ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مُتَجَهِّزاً لِلْقِتَالِ . وَكَانَ النَّاسُ فِي هَذِهِ
الْأَثْنَاءِ قَدْ تَدَمَّوْا عَلَى الْخَافِئِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالُوا : اسْتَكَرْهَنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ .

فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَكَرْهَنَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا يَنْبَغِي لَنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأَمَتَهُ (دَرْعَهُ) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَقَاتِلَ
فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكِدْ يَمْضِي فِي الطَّرِيقِ حَتَّى انْخَذَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بَنُ
أَبِي بَنٍ سُلُوفٍ بِثَلَاثَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، بِدَعْوَى أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ ثَمَّةُ
حَرْبٍ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ رَغْبَةٌ فِي
خَذْلَانِ الرَّسُولِ .

النزول عند رأي الجماعة

وواضح أن هذه القصة أن الأقلية (٣٠٠) وكان على رأسها عبدالله بن أبي بن سلول كانت ضد الخروج لمقابلة المشركين ، وأن الأغلبية (٧٠٠) كانت مع فكرة الخروج والمواجهة . وعلى الرغم من أن رأي الرسول الخاص ، كان من رأي الأقلية ، فقد أثر أن ينزل عند رأي الأغلبية ، تثبتاً لقواعد الشورى واحترام رأي الأغلبية .

وقد كانت هذه خطة سيدنا محمد صلوات الله عليه في كل ما يتعلق بشؤون الحرب ، حيث كان يأخذ برأي الثقات وان خالف رأيهم . فنحن نعلم أنه في موقعة بدر قد اختار مكاناً للمعركة ، ثم اقترح عليه مكاناً أكثر مناسبة وهو المربطة عند عين بدر ، فأخذ بهذا الرأي وعدل عن رأيه ، فكان النصر .

وفي غزوة الخندق ، لم يكن حفر الخندق إلا بناء على إشارة سلمان الفارسي ، وعلى الرغم من أن العرب لم يكن لهم سابق عهد بحرب الخنادق فقد انصاع الرسول لهذه الفكرة ، وكان النصر .

الرسول يعيىء جيشه للمعركة

واختار الرسول مكان المعركة ، وخطر على أفراد جيشه أن يشتبكوا إلا إذا أعطاهم الأمر ، وحصّن رسول الله ظهر

جيشه بمرفق من الأرض وهو ما يسمى جبل الرماة ، وطلب إلى فرقة الرماة من جيشه وكان عدد أفرادها خمسين رجلاً ، أن يقفوا على هذا التل ليحموا ظهر الجيش حتى لا يؤخذ من خلفه ، وعين عبد الله بن جبير رئيساً على الرماة ، وقال له : انضح عنا الحيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت في مكانك لا تؤقن من قبلك .

وفي بعض الروايات أنه قال له : حتى لو رأيت الطير تتخطفنا فإياك أن تتحرك من مكانك .

انتصار المسلمين في احد

والقرآن صريح في أن المسلمين قد انتصروا في أحد في بداية المعركة ، وكان عبد الله بن عباس ، يتحدث عنها باعتبارها كانت نصراً مستشهداً في ذلك القرآن .

يقول ابن إسحق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوم بالسيف (أي قتلهم) حتى كشفهم عن المعسكر وكانت هزيمة المشركين لا شك فيها . يقول الزبير على ما نقله عنه ابن إسحق :

والله لقد رأيته أنظر إلى خدم (خلخال) هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هو أرب ، ما دون أخذهن قليل أو كثير .

وإلى هذا النصر يشير القرآن الكريم :
« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » .

الرماة يخالفون أمر النبي

ثم كانت زلة الرماة ، عندما خالفوا أمر رسول الله تصوراً منهم أن المعركة قد انتهت ، وبدأ دور جمع الغنائم فتركوا الموقع الذي أوقفهم فيه رسول الله ، واندفعوا يجمعون الغنائم والأسلاب .

وإذ كان خالد بن الوليد على رأس فرسان المشركين في هذا اليوم ، وهو من تعرف عبقريته الحربية ، ولذلك فقد انتهر هذه الفرصة لينقض بخيله على جيش المسلمين من خلفه ، وتصايح المهاجرون « مات محمد ... مات محمد » فكان لهذه المباغنة وهذا الخبر أثره في تفريق جمع المسلمين فكانت الهزيمة .

وقد صور القرآن الهزيمة وأسبابها فقال وقوله الحق :

« حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » .

« إذا تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون » .

تربية وتعليم

فأنت ترى أن هزيمة المسلمين في غزوة أحد ، لم تكن لنقص في عدتهم أو إيمانهم ، أو لتخلي الله عنهم ، فقد أيدهم ونصرهم في الوقت الذي كان عددهم لا يكاد يصل إلى ربع عدد عدوهم (٧٠٠ ضد ٣٠٠٠) وذلك عندما كانوا يقاتلون في سبيل الله مخلصين له الدين . أما عندما غرّتهم الدنيا ، وطعموا في الأسلاب حتى ولو خالفوا أمر رسول الله ، فقد كان حقاً لله في منبيل تربيتهم وتعليمهم أن يتخلى عنهم فكانت الهزيمة . ونزل القرآن الكريم يحلل أسباب الهزيمة ، حتى لا يعودوا لمثلها .

الرسول يعالج آثار الهزيمة على الفور

ويضرب لنا الرسول درساً من أروع دروس الإيمان من ناحية والتخطيط الحربي من ناحية أخرى لمحو آثار الهزيمة بأسرع وقت حتى لا قذع هذه الآثار تلسرب للنقوس . فلم يكد يصل إلى غلمه في أمسية الهزيمة ، أن المشركين قرروا الهجوم على المدينة في صباح اليوم التالي للمعركة للاجهاز على المسلمين والخلاص من عقيدة التوحيد إلى الأبد ، حتى ندب المحاربين الذين كانوا معه بالأمس للخروج مرة أخرى لمهاجمة المشركين قبل أن يهاجمهم . يقول ابن إسحق : كان يوم (غزوة) أحد يوم السبت . للنصف من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذن أن لا يخرج من معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به القوة وأن الذي أصابهم في اليوم السابق لم يوهنهم عن مقاتلة عدوهم .

ووصل رسول الله إلى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فلما وصل إلى جيش المشركين نبأ خروج رسول الله آثروا السلامة والاكتفاء بما تحقق لهم في اليوم السابق فعادوا أدراجهم إلى مكة .

ورابط رسول الله عند حمراء الأسد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى إذا تأكد له بصفة قاطعة لإنسحاب المشركين ، عاد يبيشه إلى المدينة منتصراً على الخوف والهزيمة ، معنياً بذلك على كل آثارها ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لن يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وما محمد إلا رسول

على أن أعظم الدروس التي لقتنها القرآن الكريم للمسلمين

بمناسبة غزوة أحد هو أن يجعلوا إيمانهم بالله فوق الأشخاص ،
على أساس أن الأشخاص تقنى وتزول ويبقى الله أبداً .

فقد كان السبب الأول في هزيمة المسلمين في أحد ما قيل
وأشيع أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام قد مات ، فنزل
القرآن يذكرهم ، أن محمداً لا يعدو أن يكون إنساناً كبقية
البشر ممن يجري عليهم ناموس الموت ، فيقول وهو أصدق
القائلين :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أئن مات أو
قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .

ولقد كانت هذه الآية الكريمة هي التي أعادت المسلمين إلى
رشدتهم وصوابهم يوم مات رسول الله ، عندما وصل الأمر إلى
حد أن عمر بن الخطاب ، أقسم ليضربن بسيفه عنق من يدعي أن
محمداً قد مات .

وليس سوى أبا بكر الصديق من استضاء قلبه بنور الإيمان
في هذا اليوم ، فخرج على الناس ليقول لهم :

أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان
يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

وتلا من القرآن هذه الآية التي نزلت بمناسبة غزوة أحد ،
فكانت هي الشافية لما في الصدور . وكان ما كان بعد ذلك من
فتوح الإسلام وانتشاره في أرجاء العالمين .

فلنتعلم

وبعد فهذه بعض الدروس والعظات المستفادة من غزوة أحد
فلنعلمها ولنتدبرها ولنستفد منها ، ولنستعين بها في محو آثار
العدوان ، لا أن نقف فقط عند القول بأن رسول الله قد هزم
في غزوة أحد ، لنتعزى بذلك ونستنم .



محمد علي كلالى

ظاهرة من ظواهر المذلل الاسلامي في الأمريكيتين

عثرت في مكتبتي على تقويم للعالم عن سنة ١٩٤٧ وهو
التقويم الذي تصدره بانتظام سنوياً The world Almanac
جريدة النيويورك تلجرام، متضمناً كل الحقائق العالمية، بالاستناد
إلى البيانات الرسمية .

وطبقاً لهذا التقويم فإن عدد المسلمين في أمريكا الشمالية لا
يزيد عن «١٤٠٠» ألف وأربعمائة مسلم من عدد السكان البالغ

عدددهم ١٧٤ مليون أي بنسبة $\frac{1}{124000}$ تقريباً وهي نسبة

ضئيلة جداً كما ترى .

أما بالنسبة لأمريكا اللاتينية التي يبلغ عدد سكانها ٨٣
مليوناً ، فقد ذكر التقويم أنه لا يوجد بها مسلم واحد ، وسواء
كان هذا التقرير يدل على حقيقة واقعة ، أم أن البيانات لم تصل

إلى التقويم ، فإن ذلك يدل على عدم شأن المسلمين في أمريكا اللاتينية .

تقويم ١٩٦٥

ولكن تقويم عام ١٩٦٥ لنفس الجريدة ، قد ذكر أن عدد المسلمين في أمريكا الشمالية قد ارتفع إلى ٣٨ ألف من بين عدد السكان الاجمالي البالغ ٢٨٠ مليون . أي أن عدد المسلمين تضاعف سبعة وعشرين مرة في الوقت الذي لم يتضاعف فيه عدد السكان مرة واحدة وأصبحت نسبة المسلمين إلى غيرهم $\frac{1}{8000}$

تقريباً بعد أن كانت $\frac{1}{124000}$.

أما في أمريكا اللاتينية ، التي لم يذكر التقويم مسلماً واحداً بها عام ١٩٤٧ ، فقد قرر تقويم عام ١٩٦٥ أي عدد المسلمين بها يناهز ٣٧٢ ألفاً .

تقويم ١٩٦٦

وفي تقويم ١٩٦٦ أي بعد عام واحد من التقويم السابق زاد عدد المسلمين في أمريكا الشمالية إلى ٣٩ ألف مسلم بينما ظل عدد السكان الاجمالي على حاله تقريباً وهو ٢٨٠ مليوناً ، أما بالنسبة

لأمريكا اللاتينية فقد زاد المسلمون عشرة آلاف فأصبح عددهم ٣٨٢ ألف بعد أن كان ٣٧٢ ألف في العام السابق .

غزوة إسلامية

هذه الأرقام قوية الدلالة على أن الإسلام بدأ يغزو آخر قلاع العالم التي ظلت مغلقة في وجهه حتى الآن ، وهي الأمريكتان اللتان لم تكتشفا إلا منذ خمسة قرون واعتبرت وقفاً على المسيحية .

وكان لا بد للإسلام وقد نفذ إلى الأمريكتين أن يظهر بهما آياته ومعجزاته ، كما كان شأنه دائماً في أي بيئة جديدة ينفذ إليها ، فكان محمد علي كلاي ، الذي اعتبر ظاهرة من ظواهر المد الإسلامي في العالم الجديد .

وأهمية ظاهرة محمد علي ، أنها في الميدان الوحيد الذي كان يمكن أن تشد إليها انتباه الأمريكان بكل هذه القوة ، ولو أن تفوقه كان في دنيا العلم ، أو دنيا الفن ، لما طبقت شهرته الآفاق في هذه المدة القصيرة جداً .

والأمريكان الذين كفروا بكل المعنويات ، ولا يعمدون يؤمنون إلا بالقوة السافرة ، قوة الجسد ، وقوة المال ، وقوة السلاح ، فليس سوى انتصار محمد علي في دنيا القوة والمال ، ما يحملهم على احترامه وتبجيله والإيمان به .

قصة محمد علي كمالكم

ونحن نعلم كيف بدأت قصة محمد علي كلاي كمالكم ، فقد كان يدعى من قبل كلاسيوس كلاي ، وتحت هذا الإسم أحرز للولايات المتحدة الأمريكية بطولة العالم في الملاكمة في اولمبياد عام ١٩٦٠ ، وافتخرت به امريكا واعتزت واستطالت .

وكان أن احترف كلاسيوس كلاي الملاكمة ، وراح يهزم كل من تقدم لمنافسته ، حتى وصل به نجاحه إلى تحدي ليستون بطل العالم للوزن الثقيل . وكان ليستون وبطولته غصة في حلق الامريكان ، فله تاريخ عريق في الاجرام ، ووصل إلى بطولة العالم في الملاكمة بقوته الوحشية أكثر من فنه في الملاكمة ، وكان الاسم الذي اشتهر به أبان بطولته « شرير الحلقة » .

وانتصر عليه كلاسيوس كلاي انتصاراً مذهلاً ، جعل الكثيرين يشكون في صحة الملاكمة ، ولكن كلاسيوس كلاي ، فاجأ الامريكان والدنيا كلها ، بأن أعلن أنه مسلم وقد نذر إلى الله إذا هو انتصر على ليستون ، أن يعلن إسلامه ويغير اسمه إلى محمد علي .

موجة من الحقد والتعصب

وتحول الامريكان في لحظة واحدة من دنيا الإعجاب والتمجيد لكلاي ، إلى طوفان ضده من الحقد والكراهية والتعصب .

فرفض اتحاد الملاكمة الامريكى ، أن يعترف بملاكمة كلاي مع ليستون الثانية ، في الوقت الذي أعرضت فيه مختلف الولايات عن السماح له بالملاكمة فوق أرضها ، فألغيت مباريات كان قد تحدد موعدها .

ورفضت الاذاعات الامريكية الاسم الجديد محمد علي ، وراحت لا تتحدث عن كلاي إلا بأنه كلاسيوس ، ثم أجمعت على تجاهله بالكلية . وكان من الممكن أن يتراجع محمد علي ، وينهار تحت وطأة هذه الموجة العارمة من الكراهية ، والتي لا تقف عند حد تأثيرها الأدبي ، بل تشمل قبل ذلك الأثر المادي ، وهو حرمانه من مئات الألوف من الدولارات التي تعطى للملاكمين في أمريكا .

بل أن هذه الموجة العارمة من الكراهية والتعصب ، قد تؤدي بحياة محمد علي من أساسها ، برصاصة تنطلق من هنا وهناك ، فما أكثر الرصاصات الحاقدة المجنونة التي لا تتورع في أمريكا عن قتل أي إنسان ، حتى ولو كان رئيس جمهورية محبوب مثل كندي .

محمد علي يواجه التحدي

ولكن محمد علي لم يعبأ بذلك كله ، وارتفع إلى مستوى التحدي الذي وجد نفسه فيه ، فراح يحوب أوروبا والعالم كله .

دفاعاً لا عن لقبه كبطل للوزن الثقيل ، ولكن عن إيمانه بالله رباً وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً .

وانتصر على طول الخط كما نعرف ، وأذهل الدنيا كلها بهذه الظاهرة التي لا عهد بدنيا الملائكة بها ، وهي خروجه عقب أقسى المعارك بغير أن يمسه سوء ، معلناً أنه على استعداد أن يلاكم في التو واللحظة باقي غرمائه .

وانتهى الأمريكان إلى أنهم هم الذين بدأوا ينحسرون وليس محمد علي ، وأن اتحادهم هو الذي يوشك أن يفقد سلطانه كمنظمة دولية يعترف بها الجميع .

فأقيمت له المباريات من جديد في أمريكا ، ووقف الشعب الأمريكي بكل جبروته ، وكل وسائل أعلامه من سينما وصحافة وراديو وتلفزيون ، خلف منافسيه ، يهتفون لهم ويصفقون تشجيعاً لهم ، حيث لا ينال منهم محمد علي سوى الإزدراء والتصفير والاستهجان . ولكن ذلك كله لم يكن له سوى أثر واحد على محمد علي ، وهو رفع مغنوياته أكثر وأكثر ، وازدياد قوة عزمه وإصراره على هزيمة منافسيه ، فيروح يكيل لهم الضربات باليمين والשמال ، وهو في الحق لا يضرهم وكان يحب أن لا يؤذيهم ، ولكنه كان يضرب فيهم التعصب الذي يمثلونه ، ودنيا الحقد والكراهية التي تقف وراءهم .

آخر الشوط وقمة السلم

وكانت مباراته الأخيرة مع تيريل وهزيمته إياه هذه الهزيمة الساحقة التي جعلت أعدى أعدائه يعترفون له أنه كان بطل الأبطال في كل وقت وزمان ومكان ، فلم يحدث من قبل أن لا كم بطل ثمان وعشرين مباراة لا يهزم في أي منها . ولم يحدث أن دافع بطل عالمي عن لقبه ست مرات في عام واحد ، وثمان مرات في أقل من خمسة عشر شهراً .

ويخطيء من يتصور أن هذا التفوق الساحق هو ثمرة التدريب ، أو المهارة ، فإن الصف الطويل من الملاكمين الذين منوا على يده بالهزيمة ، ليس فيهم من لا يقف وراء جيش من المدربين ، وليس فيهم من وصل إلى ما وصل إليه إلا لمهارته البالغة في فنه .

سر محمد علي

إن سر محمد علي أنه يؤمن بالله ، يؤمن أنه بانتصاره يدافع عن قضية الحق وهي قضية الزوج والإسلام ، وهو لا يكف عن إذاعة هذا السر والتحدي به .

ولست أشك لحظة أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة سوف يتضاعف في الأيام والسنوات المقبلة بفضل إيمان محمد علي ، بل إن الدنيا كلها التي أصبحت تتابع مبارياته لا يمكن إلا أن تسائل عن الإسلام ، الذي يحقق محمد علي في ظله هذه الانتصارات .

وكل ما يحتاجه الإسلام ، هو لفت النظر إليه ، فهو بمبادئه الإنسانية السامية كفيل أن يغزو قلوب كل الذين يقربون منه .

دعاء

فلندع الله جميعاً أن يثبت إيمان محمد علي ، وأن يحنبه الزلل والانحراف ، وأن يصونه من عبث الدنيا ومغرياتها ، ليظل علماً خفاقاً على الإسلام والمسلمين .

وغني عن البيان ، أن مستقبل محمد علي بعد الآن بين يدي الله ، ولكن الحقيقة الثابتة التي سجلها التاريخ حتى الآن ، هو أن محمد علي ظاهرة فذة من ظواهر الإيمان في دنيا طغت عليها المادة ، وأنه أحد علامات الطريق الذي يدل على أن الإسلام يشق طريقه في قوة وسرعة في العالم الجديد .

ولكن حدث أثناء طبع هذا الكتاب في شهر مايو - أيار سنة ١٩٦٨ أن المحكمة الأمريكية التي تتهم محمد علي كلاي بالهرب من خدمة الجيش الأمريكي قد حكمت عليه بالسجن ٥ سنين ، يعني لو كان غير زنجي وغير مسلم ، أكانوا يحكون عليه ؟

الاستقبال للإنسانية إلا في ظل السلام والتعاون الدولي

عاش الإنسان الجزء الأكبر من حياته كإنسان على هذا الكوكب ، يرى في نفسه نوعاً ، يختلف عن سائر ما في الدنيا من أنواع ، فلم يبذل نشاطه في معاداة نوعه ، فضلاً عن أن يعمل على القضاء عليه ، وإنما كرس جهده في التغلب على ما يعرض له من مشاكل طبيعية ، ساعياً لتوفير طعامه وملبسه وماواه ، من خلال التعاون مع أبناء جنسه وأفراد نوعه .

والرأي على أن الإنسان لم يعرف الحرب فيما بين جماعاته إلا في وقت قريب جداً ، يقول لنا جوليان موكسلي في كتابه « الإنسان في العالم الحديث » :

« الحرب ظاهرة بيولوجية نادرة جداً ، وليس يوجد إلا نوعان من الحيوانات من عاداتهما الاشتباك في الحروب ، وهما الإنسان والنمل ؛ بل إن النمل لا يمارس الحرب منه غالباً إلا

جامعة واحدة . وكثير من علماء تاريخ السلالات البشرية يعتقدون أن الحرب ، أو على أية حال الحرب المنظمة المألوفة لم تنشأ في مراحل تطور الإنسان ، إلا عندما وصل إلى طور المدنية المستقرة ، وبدأ يكتز الحبوب وغيرها من صنوف الثروة .

ونحن نعلم أن عصر المدينيات والحضارة لم يبدأ إلا منذ سبعة آلاف سنة على الأكثر على حوض النيل والدجلة والفرات . عندما بدأت الجماعات المتقاربة تتوحد في تشكيلات جماعية أكبر وأكبر ، حيث تخضع لأمير أو ملك .

ثم بدأت هذه الوحدات تدخل في حروب مع جيرانها ، فلم تعد الحرب ، حرب قبائل متجاورة ، وإنما حرب دول ضد بعضها ، وقامت امبراطوريات مصر القديمة ، وآشور ، وبابل ، وفارس تحاول فرض سلطانها على جيرانها من الدول الأخرى ، ولم تلبث كل بدورها أن وجدت من ينازعها الغلبة والسلطان ، من خلال المعارك والحروب .

ولكن الظاهرة المؤكدة ، أن تيار الحضارة والمدنية ، ظل يتدفق دوماً نحو الأمام ، لا تنال منه هذه الحروب الجزئية المحدودة ، ولا يعرقل سيره قيام امبراطورية وانهايار أخرى ، بل إن الشاهد والثابت أن الحوادث المختلفة ، قد أغنت دائماً التطور الحضاري وأثرته . فليس سوى الاحتكاك والمنافسة والرغبة في الدفاع عن النفس كان حافزاً للعقل البشري على الخلق والإبداع .

ولقد كتبت منذ أكثر من عشرين سنة ، والحرب العالمية الثانية مشتدة الأوزار ، رسالة في موضوع الحرب ، حاولت أن أثبت فيها أن كل تقدم آلي وتكنيكي حققه الانسان ، إنما تم من خلال الحروب التي جهزته بأسلحة ، لم يلبث أن استخدمها في أيام السلم فزادت في قدرته على الانتاج ورخائه .

وهذه حقيقة مؤكدة ، لا يمكن إنكارها ، فقد عاشت البشرية حتى الآن ، بل وتقدمت وازدهرت وهي تمسك الفأس في يد تزرع وتلتج ، والسيف في اليد الأخرى تقتل به وتذبح .

الأسلحة النووية :

ولكننا وصلنا الآن إلى مرحلة لم تعد الفأس فيها كافية لإطعام بني الإنسان ، فلا بد من جرارات وكماويات ، كما لم يعد السيف هو أداة القتال ، وإنما قنابل ذرية وهيدروجينية ، وقنابل كوبالت يطلق عليها اسم قنبلة « يوم القيامة » .

والرأي على أن هذه القوى ، لو انطلقت من عقالها ، لما بقي على ظهر الأرض انس .

ان الثقات يجمعون على أنه لو قامت حرب ذرية في العصر الحديث ، فان ضحاياها يتجاوزون في الساعات الأولى للمعركة ثلثائة مليون نسمة ، من سكان المدن الكبرى ، ومراكز الانتاج الصناعي والعلمي والثقافي ، أما استمرار الحرب بعد ذلك لبضعة

أيام ، فان هذا يعني فناء البشرية كلها .

ولنتنقل لك فقرة من تقرير هيئة الأمم عن نزع السلاح
لعام ١٩٦١ :

« إننا نشك في استمرار وجود العالم بأي شكل من الأشكال
دون نزع السلاح ، إن شبح الموت يسيطر علينا ، فان طيران
سرب من الأوز البري في هدوء عبر أركاتيكا البيضاء (القارة
القطبية) ثم يدخل في نطاق تحذير شاشة رادار أمريكي أو
سوفييتي ، تتصوره الشاشة على أنه صواريخ ، فتتأهب حكومة
الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي للقيام بالضرب النووي
المضاد كما تقضي الحالة ، فيبدأ اعصار الحرب النووية ، بينما يطير
الأوز في هدوء إلى الأمام .. »

والحق أن الأوز سيكون هو المخلوق الوحيد الذي يظل حياً
بعد حرب عالمية .

ولا يظن القارئ أن هذا الذي ختمت به لجنة نزع السلاح
تقريرها مجرد فرض نسجته من وحي الخيال ، فهي إنما تشير إلى
حادث وقع بالفعل ، فان محطة الرادار النووية الموجودة في شمال
جرينلند المخصصة للانذار عند اقتراب قاذفات القنابل السوفييتية
حدث أن أعطت الانذار ، فقام الطيارون المدربون على أن
يكونوا في الجو في ظرف دقيقتين بطائراتهم حاملة القنابل
الهيدروجينية ثم اتضح للرادار أن القذيفة التي شوهدت على

شاشة الرادار لم تكن إلا سرباً من الأوز^(١).

فالحروب الذرية اليوم إذا اندلعت ، لن تكون كحروب
الأمس ، التي سمحت للحياة الانسانية بل وللحضارة الانسانية ،
بالنمو والتطور ، إنها حرب افناء إن لم يكن للجنس البشري ،
فعلى الأقل لحضارته .

الانفجار الانساني :

على أن ثمة خطراً أصبح يهدد الانسانية لا يقل في أثره على
المدى الطويل من خطر الحرب الذرية ، وهو ما أصبح يعرف
باسم الانفجار السكاني . ذلك أن البشر يتزايدون بمعدل ثلاثة
أشخاص كل ثانيّتين ، أي بمعدل تسعين شخصاً في الدقيقة الواحدة
و ٤٥٠٠ شخص كل ساعة أو ١٢٩٦٠٠ شخص كل يوم .
و ٤٧٣٠٠٠ شخص في السنة أي ما يزيد على مجموع سكان
فرنسا بأكملها .

وقد أجمعت كل الكتب التي ألفت قبل عام ١٩٦٠ على أن
سكان العالم سيصلون في ختام القرن العشرين ، أي بعد ٣٢ سنة
من الآن ، إلى ثلاثة آلاف مليون نسمة . وقد استند المؤلفون
على بيانات هيئة الأمم الدقيقة التي تصدرها كل عام حول عدد
المواليد . وكان هناك تخوف من بلوغ العالم هذا العدد من السكان .

(١) « الأمة الانسانية » للمؤلف .

ويتجلى خطر الانفجار السكاني عندما تعلم أن العالم قد تجاوز هذا القدر منذ عام ١٩٦٥ ، فلم يعد الأمر بحاجة للانتظار اثنين وثلاثين عاماً ليبلغ مجموع البشر ثلاثة آلاف مليون نسمة .

والتقدير الآن لسكان العالم في ختام القرن أي عام ٢٠٠٠ يتراوح بين ستة آلاف مليون وسبعة آلاف مليون ، أي أكثر من ضعف ما كان مقدراً من البداية .

ويقول الخبراء ، ان العالم لو استمر في الزيادة السنوية بهذا المعدل ، فان عدد البشر سيبلغ حداً لا يعود سطح الأرض كافياً لمواطنيه قدميه ، وذلك بعد بضعة قرون فقط ^(١).

ومعنى ذلك ، أن انقراض العالم من حرب ذرية ، يقضي إلى سلام ينتهي إذا لم يتضافر البشر على مواجهته إلى الفناء كذلك .

ضرورة التعاون بين البشر :

ولا سبيل لإنقاذ البشرية من هذا الخطر الآخر ، إلا بالعمل على رفع مستوى الشعوب المختلفة شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ذلك أن هذه الزيادة الخيفة لسكان العالم ، إنما تندفق من هذا الجانب ، فحيث لا يتزايد سكان أوروبا إلا بنسبة ٩٪ من الواحد الصحيح في المائة ، فإن شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية تتزايد بنسبة ٢٣٪ كل عام .

(١) « الأمة الانسانية » للمؤلف .

ومن الظواهر الثابتة ، أنه كلما زاد رقي الإنسان ، كلما قل
نسله ؛ يتجلى ذلك في نفس انسال أهل المدن عن أهل الريف ،
ونقص انسال الأغنياء عن الفقراء ، والدول المتحضرة عن الدول
المتخلفة. والارتقاء بالشعوب المتخلفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا
اللاتينية ، لا يمكن أن يتم إلا من خلال تعاون عالمي ، يضع فيه
القادرون امكانياتهم العلمية والتكنولوجية ، من أجل مضاعفة
الانتاج الزراعي الرأسي، باستخدام الآلات والكيماويات وأحدث
الأساليب العلمية ، والأفقي بزراعة أرض جديدة ، بدلاً من
الغابات والمستنقعات والصحاري ، وتحويل البحار التي تؤلف
ثلثي مساحة الكرة الأرضية ، إلى مصدر رئيسي للغذاء وكل ما
يحتاجه الانسان من معادن .

المائة عام القادمة :

وقد وضعت خطط محسوسة ومدروسة للارتفاع بالانسانية
كلها في المائة عام القادمة إلى مستوى الحياة الامريكية،وقد رت
موارد الأرض ومصادرهما ، فوجد أنها تكفي البشر لتحقيق
هذا الذي يعتبر حلماً ، شريطة أن يبدأ البشر منذ الآن
تعاونهم في صدق واخلاص ، في ظل هيئة الأمم ، وسيادة حكم
القانون في علاقة الشعوب ببعضها^(١).

(١) « الأمة الانسانية » للوف .

نموذج من العالم العربي :

ولكي نقرب هذه الصورة إلى أذهان القارئ الكريم ، ما علينا إلا أن نسوق له مثلاً من واقعنا العربي وكيف أن تعاوننا مع بعضه ، ومع بقية دول العالم في صدق وإخلاص يصل بسكانه إلى الذروة في الوقت الذي سيظل يفص بمشاكل الفقر والجهل والمرض ، إذا ظل على تشنته وخلافاته .

تبلغ مساحة العالم العربي ١١ مليون كيلو متر مربع ، أي قدر مساحة أوروبا ، ومع ذلك فإن عدد سكانه لا يزيد عن تسعين مليون نسمة في الوقت الذي يسكن أوروبا ٤٣٤ مليون نسمة .

وحيث يمثل سكان العالم العربي ٣٪ من سكان العالم فإنه ينتج من القمح ٣٥٪ من الانتاج العالمي أي ٧ مليون طن . وينتج من الحبوب الغذائية من قمح وشعير وذرة سبعة عشر مليون طن أي أنه يخص الفرد الواحد ٢٠٠ كيلو جرام سنوياً ، وهو قدر محترم .

وينتج العالم العربي ٣ وربع مليون طن من الكروم وهو ما يساوي ٨٪ من الانتاج العالمي و ١٥ مليون طن من الحمضيات وهو ما يساوي ٩٪ من الانتاج العالمي .

ويوجد بالعالم العربي من الثروة الحيوانية أكثر من مائة مليون

رأس ما بين أبقار وجاموس وإبل وأغنام أي أكثر من رأس لكل فرد ، من افراده .

وقصة البترول العربي أصبحت معروفة ومشهورة ، فقد استوردت أوروبا ١١٨ مليون طن من بترول العرب عام ١٩٦٠ مقابل ١٥ مليون طن وصلت غرب أوروبا من نصف الكرة الغربي ، وقد زادت هذه الأرقام في السنوات التالية بطبيعة الحال .
والأمر المجمع عليه أن ٦٠٪ من بترول العالم موجود في البلاد العربية ، ولما يكتشف بعد البترول في صحراء العرب الكبرى ويقدر المخزون بها .

ويبلغ دخل الكويت سنوياً من البترول ما يريد على خمسمائة مليون دولار ، حيث لا يزيد عدد سكانه على ثلث مليون .

ويوجد في السودان وحده مائة مليون فدان صالحة للزراعة ولكنها لا تزرع لعدم وجود الأيدي العاملة التي تزرعها^(١) .

وفي العراق وسوريا ، أراض زراعية تقدر بملايين الأفدنة لا تجد من يزرعها لقلة اليد العاملة ، وتعاني ليبيا بعد اكتشاف البترول بها من قلة الأيدي العاملة .

وذلك في الوقت الذي يتزايد فيه سكان مصر إلى الحد من زيادة السكان مشكلة المشاكل التي تشغل بال الدولة ،

(١) الدكتور محمد صبحي حكيم - الموارد الاقتصادية في العالم العربي .

إذ قلتهم الزيادة السنوية ، كل محاولة لزيادة الانتاج لرفع مستوى الشعب المصري .

قارة افريقيا ،

هذا الوضع بالنسبة للبلاد العربية ، هو بعينه الوضع بالنسبة لافريقيا كلها ، فحيث يمكن اعتبار قارة افريقيا أغنى قارة في الدنيا ، ففيها من الطاقة المتاحة التي يمكن توليدها من مساقط الأنهار ثلاثة أضعاف ما تنتج أوروبا من هذه الطاقة ، وحيث تنتج ٩٨٪ من الماس في العالم وأكثر من نصف ذهب العالم ، وكانت حتى وقت قريب هي المصدر الوحيد لانتاج اليورانيوم ، وحيث توجد بها أعظم ثروة حيوانية في العالم .

وحيث لا يتجاوز عدد سكانها عن ٢٥٠ مليون نسمة ، فهي آخر قارات الدنيا من حيث التخلف بالرغم من تحرر أغلب شعوبها سياسياً ، وستبقي كذلك لعدة أجيال ، إذا ظلت على فرقته وخلافاتها وتنازلاتها .

علاج العالم العربي والافريقي الانساني :

ولا علاج للعالم العربي ، كما لا علاج للعالم الافريقي ، والعالم الانساني في مجموعه ، إلا إذا ارتفع إلى مستوى المسؤولية السقي أوصله إليها العلم الحديث ، وراح ينظر لمصلحته الخاصة باعتبارها

جزءاً من المصلحة العامة ، لا يتحقق عن غير طريقها ، فيتكلم بلغة جديدة ، ويصوغ العلاقات بين الدول على أسس جديدة ، مما فصلناه في كتابنا « الأمة الانسانية » .

وبغير هذا التعاون الدولي الصادق ، فان مستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب قد أصبح في خطر ، وفكرة فناء البشرية ككل لم تبعد في أي يوم من الأيام ، عن خاطر الانسان . وهذا هو القرآن الكريم بصور لنا هذه الامكانية بقوله :

« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس » .

والكلمة الآن لبني الانسان ، إن شاءوا ارتفعوا بمستواهم ، وحسنوا أحوالهم ، واستداموا حضارتهم ، أو عرضوا أنفسهم للخراب والدمار ، وجعلوا ما على سطح الكوكب الانساني حصيداً كأن لم يغن بالأمس .

والحمد لله رب العالمين



مظاهرة بالسيارات استقبلت الأستاذ أحمد حسين في مطار القاهرة عند عودته من اميركا سنة ١٩٤٧ ويرى واقفا الى يسار القاري، في السيارة وإلى جانبه الأستاذ محمد علي الطاهر ويجلس بينهما الزعيم السوداني السيد اسماعيل الأزهرى رئيس جمهورية السودان اليوم سنة ١٩٦٨ «وقف يمدم الأستاذ ابراهيم شكرى عضو البرلمان بعد ذلك» .



قام الأستاذ احمد حسين بزيارة للأمم المتحدة بنيويورك لخدمة قضية مصر سنة ١٩٤٧ فاقبعت لتكريمه بالقاهرة بعد العودة حفلة شاي بالكويتستانال . ويظهر في الصورة من اليسار محمد صالح إناا حبيب فالأستاذ احمد حسين فالسيد المجدي سفير أفغانستان وخلفه السيد الورتلافي الزعيم الجزائري فالأستاذ الحصري الهامي فوزين ماشا المصري ووقف خلفه بحوار المائدة الرئيسية الأستاذ محمد علي الطاهر وهو يخطب امام الكونغرس.



صورة تقيم من اليمين الأستاذ احمد حسين جينا زار دمشق الشام ١٩٥٥ فاحتفلت به سوريا ، وكان من
زواره في عمل نزوله الرئيس فارس بك الحوري الرئيس السوري الكبير وهو بالنظارة السوداء يتحدث معه
وبعده الأستاذ محمد علي الطاهر فالأستاذ حسني كتمان الموسيقار الفلسطيني فزبدل دمشق .



قام الاستاذ احمد حسين سنة ١٩٥٥ وهو في دمشق برد الزيارة لدولة الزعيم السوري الكبير فارس بك الخوري في داره . بحضور السادة بديع بك المؤيد رئيس البرلمان السوري سابقا الاول إلى يسار فارس بك وبليبه الدكتور اسعد الحكيم عضو المجمع العلمي السوري فالاستاذ احمد حسين فالاستاذ محمد علي الطاهر .

كتب للمؤلف

كتب سياسية :

- ١ - إيماني (طبعتان) نفذ
» ٢ - الأرض الطبية
» ٣ - الاشتراكية التي ندعو إليها
» ٤ - قصة مصر (بالإنجليزية والعربية طبع نيويورك)
» ٥ - رسالة إلى هتلر (» » » »)

كتب اجتماعية :

- ٦ - الزواج والمرأة - بحث في حقوق المرأة السياسية
» والإجتماعية في الإسلام
» ٧ - رسالة في الحرب
» ٨ - نحو المجد - بحث في العلم والمال ★
» ٩ - الطاقة الإنسانية - طبعتان - دار القلم - وصفه ★
العقاد بأنه كتاب الموسم وأنه من أعظم ما طالع
في سنواته الأخيرة .
» ١٠ - في الإيمان والإسلام - طبعتان - دار القلم ★
» ١١ - تاريخ الإنسانية (طبع دار القلم) ★
» ١٢ - الحج ، أسرارته ومناسكه (طبع دار الانجلو) ★
» ١٣ - الأمة الإنسانية ★
» ١٤ - كوكب الإنسانية (طبع دار المعارف) ★

كتب رحلات :

- ١٥ - مشاهداتي في جزيرة العرب نقد
١٦ - يقظة العملاق - رحلة إلى بورما (طبع جريدة
الأهرام)
١٧ - أمة تبعث - رحلة في الهند (طبع جريدة
المصري)
★ ١٨ - من وحي الجنوب - رحلة في جنوب السودان
(طبع دار المعارف) طبعتان

كتب قانونية ومرافعات :

- ١٩ - حكومة الوفد (مرافعة)
٢٠ - قضية تحظيم الحانات (مرافعة)
٢١ - قضية مقتل النقراشي (مرافعة)
٢٢ - مرافعة أحمد حسين في قضية التحريض على
حرق القاهرة
٢٣ - علاقات العمل وهيئات التحكيم
★ ٢٤ - مجموعة تشريعات العمل والتعليق عليها
★ ٢٥ - قضية التحريض على حرق القاهرة - وثائق
ومقالات وأحكام خالدة في تاريخ مصر

مذكرات :

- ٢٦ - وراء القضبان - مذكرات المؤلف عن اعتقاله
خلال الحرب العالمية الثانية (طبع جريدة المصري)

٢٧ - في ظلال المشنقة - مذكرات المؤلف عن فترة
اتهامه في حريق القاهرة (طبع جريدة المصري) نقد

مسرحيات :

٢٨ - من الحياة - مسرحيتان من ذات الفصل الواحد

٢٩ - نور يسطع في الظلام (مترجمة عن تولستوي)

القصة الثلاثية :

★ ٣٠ - أزهار (قصة مصر في الثلاثينات)

★ ٣١ - الدكتور خالد (قصة مصر في الأربعينات)

★ ٣٢ - واحترقت القاهرة (قصة مصر حتى قيام الثورة)

تحت التأليف

موسوعة تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى اليوم، بالتعاون
مع الاستاذين أحمد عزت وأبور الجندي .

★ الكتب الموضوع أمامها هذه العلامة هي من إنتاج المؤلف في هذه
السنوات الأخيرة ، وهي تطلب من مكتبة الانجلو ١٦٥ شارع محمد فريد
(عماد الدين سابقاً) القاهرة ، ودار الثقافة العامة ٨ شارع البستان - القاهرة .

فهرس

صفحة

٥	مقدمة	●
١٠	الفن والعلم	●
٢٣	الطفولة ذروة الكمال الإنساني	●
٣٥	آخر قصيدة لشوقي اوشك أن يطمسها التاريخ	●
٤٢	وليمة الدم - قصة	●
٥٠	عزير المصري - الرجل الاسطوري كما عرفته	●
٩٥	من أعلام العروبة - محمد علي الطاهر	●
١٠٣	غزوة أحد كما يصورها القرآن	●
١١٤	محمد علي كلاي ظاهرة من ظواهر المد الإسلامي	●
	لا مستقبل للإنسانية إلا في ظل السلام والتعاون	●
١٢٢	الدولي	

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب. ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٣٠٤٢

